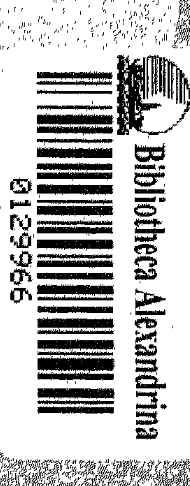
البر في الإسلام

الدكتور عبد الصبور شاهين

إعداد
عبد الله المصري

دار الاعتصام





سلسلة
رسالة منبر جامع
عمرو بن العاص
١٠

البر في الإسلام

الدكتور
عبد الصبور شاهين

إعداد / عبد الله المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبى الرحمة سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد ...

فهذه كلمات عن (البر) .. حرصنا على أن نقدمها إلى جماهير المسلمين مكتوبة بعد أن أرسلناها إلى أسماعهم وعقولهم منطوقة لتأخذ على الناس أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم ، وتحاصرهم فى حيثما كانوا ، ثم تدفعهم إلى سلوك طريقه الذى لا طريق غيره ليصلوا إلى مرتبة الصادقين المتقين .

كانت خطباً أُلقيت فى تواريخ مختلفة ومتباعدة من على منبر (عمرو بن العاص) كما يبين ذلك تاريخ الخطبة ، ومع وحدة الموضوع فإن لكلٍ من هذه الخطب سمتها المميزة لها ، فهى جميعاً تلتقى فى أن الهدف منها واحد ولكنها تفترق بعد ذلك فى اللغة وفى كل الأفكار والمحاور التى تدق حولها ، والغريب أن ذلك الاختلاف لم يكن مقصوداً ، فما رجعت فى الخطبة اللاحقة إلى نص الخطبة السابقة لأسترجع ما سبق أن قلته ، ولكنه وحى اللحظة ، وإلهام الموقف الجليل من فوق المنبر فى هذا الجامع العتيق .

وإذا كانت لغة الخطابة ذات ملامح تختلف عن اللغة المقرؤة ، فقد حرصنا على شىء من التعديل فى لهجة الحديث لنعين القارىء على متابعة القراءة ، والاستطراد فى ملاحقة المعنى .

مهمة صعبة .. لكنا تجشمناها حباً فى إخواننا الذين يلتفون حول المنبر ، ويحرصون على الحضور .. بل ويتتبعون أشرطة الخطب ، ويستمعون إليها فى خلواتهم ، ويتابعون كل ما يصدر عن هذه المدرسة المحمدية .

إن البر يتمثل فى هذه الخطب منهاجاً قويماً لمداواة الجراح ، وللملمة

الشعث ، ومعالجة الفقر والتشرد في واقع مجتمعنا المسلم ، وبناء علاقات الحب والمودة بين المسلمين وسائر أهل الأديان في المجتمع ، فتلك تعاليم الله وشرائعه .. لا مهرب منها ، ولا أمل في غيرها ، ولا نجاة إلا بها .. منهاجاً وشريعة .. تعليماً وسلوكاً ...

ومهما تخرّص المبطلون ، وحاول العلمانيون أن يصرفوا الناس عن طريق الله فإن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ،،،

ربيع الثانى ١٤١٦ هـ
سبتمبر ١٩٩٥ م

عبد الصبور شاهين

* * *

البر فى حياة الأمة الإسلامية

يقول الحق تبارك وتعالى فى كتابه الكريم (*) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ صدق الله العظيم [البقرة : ١٧٧] .

أيها المسلمون ...

هذه آية من كتاب الله – عز وجل – تتحدث عن البر باعتباره قوام المجتمع وركن الحياة الإسلامية ، لا تستقيم حياة الفرد ولا حياة الأسرة ولا حياة الأمة إلا بهذه الصفة التى أراد الله – سبحانه وتعالى – أن يلقننا فيها درساً حكيماً .

لقد بدأت الآية كما علمنا بأن تنفى عن البر أن يكون شكلاً من أشكال الحركة أو هيئة من الهيئات المتصلة بسطحيات الحياة « **إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أشكالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » (١) ولذلك تقول الآية : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ..** ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، لقد قال اليهود – وكأنما ينتقدون رسول

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٣٠ رمضان ١٤١٢ هـ / ٢٠ إبريل ١٩٩٠ م .

(١) حديث شريف .

الله ﷺ عندما حولت القبلة فى شعبان من السنة الثانية للهجرة – قالوا : لقد ترك محمد وجهة البر وقبلة البر ، فنزل القرآن ليقول لهم : أيها الجاهلون بالبر ، الجاحدون لخُلق الأبرار ، لستم أنتم الذين يعلمون محمداً معنى البر ، وليس من حقكم أن تزعموا أنكم تهدون إليه معنى البر ، وتوجهونه إليه ، ولكن هذا شأن الله – تبارك وتعالى – الذى قال لنبيه : ﴿ **وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ [النساء : ١١٣] .

ويقول الله عز وجل رداً على اليهود ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** .. ﴾ [البقرة : ١٧٧] فأنتم تفعلون ذلك وتأكلون الأموال الحرام ، وتستحلون الربا ، وتقتلون الأحرار الأبرياء ، وتغتصبون الأرض ، وتريقون الدماء ،كل ذلك وتتصورون أنكم تحققون معنى البر ، بتوجهكم إلى قبلة معينة ، ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** .. ﴾ [البقرة ١٧٧] ، إيمان كامل شامل بالله واليوم الآخر ، إيمان لا يختل ولا ينقص ولا يخالف الله فى كتاب ، ولا يرفض خطاب الله لنبى ، إيمان بالملائكة والكتاب والنبيين من لدن آدم إلى محمد – عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

حقيقة الإيمان :

ونحن المسلمين من صفات إيماننا أننا لا نفرق بين أحد من رسل الله ، فنحن نؤمن بكل نبى أرسله الله – عز وجل – وذلك من تعاليم الإسلام التى علمناها محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وبعد أن يعلمنا القرآن درس الإيمان ، ويكشف عن حقيقته ، يوجه النظر إلى معنى البر الحقيقى فيقول فى نفس الآية : ﴿ ... **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى**

والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب .. ﴾ ، وانظروا إلى ما تعمده القرآن من أن يتبع درس الإيمان بدرس العطاء .

أتريدون معنى البر ؟ .. ليس البر بأن تتمتموا بشفاهكم كلمات تتصورون أنها هى الذكر ، وهى كتاب الله ، وهى الحكمة المنزلة ، فذلك كله من أشكال العبادة ، وليس من حقائقها ، وقديماً فعل الأعراب ذلك وتصوروا أنهم أدركوا حقيقة الإيمان ، فقال الله – عز وجل – فى شأنهم **﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم * إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله .. ﴾** [الحجرات : ١٤ – ١٥] ، فالمعنى الذى يقصد إليه القرآن هو أن الإيمان عقيدة ينعقد عليها القلب فلا تتفلت منه أبداً .

فهى عقيدة تضمر فى القلب شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .. وأن القرآن حق .. وأن النبيين حق .. وأن الآخرة حق .. وأن البعث حق .. وأن الجنة حق .. وأن النار حق ... وكل هذه المسلمات لابد أن ينعقد عليها القلب ليتحقق له معنى الإيمان .

حقيقة العطاء :

ثم يأتى بعد ذلك توجيه القرآن إلى حقيقة البر الأخرى وهى العطاء **﴿ ... وآتى المال على حبه .. ﴾** [البقرة : ١٧٧] أى : مع أنه يحبه فهو يبذله ، مال وحب ، وللقرآن فى هذا الاستعمال لمحة ينبغى أن نتعلمها ، إنه لم يقل : وأعد المال على حبه لذوى القربى ، أو وجهز المال على حبه لذوى القربى ، وإنما قال : **﴿ ... وآتى المال على حبه .. ﴾** أى إن الغنى القادر

الذى يتمنى أن يحقق معنى البر يجب أن يحمل المال إلى مستحقيه ، فهو لا ينتظر أن يأتوه ليطلبوا حجقهم منه ، وإنما يحمله إليهم ، وذلك هو تعبير القرآن دائماً ﴿ .. **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** ... ﴾ [لقمان : ٤] أى يأتون إلى أصحاب الحقوق فيؤتونهم حقوقهم ، دون أن ينتظروا أن تطلب منهم : ﴿ .. **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين** ... ﴾ .

ولماذا يقول القرآن هذا التعبير أيضاً ؟ إن القرآن يقول : ﴿ .. **وآتى المال على حبه** ... ﴾ ، فالمؤمن الذى يريد أن يحقق معنى البر هو بين أمرين : إما أن يحب المال وإما أن يحب الله ، ليس أمامه إلا هذان الطريقان : أن يكون عنده مال يحبه فيستأثر به ويحرص عليه ويستبقيه عنده فى بيته ، والطريقة الأخرى أن يحب الله ويجعله غايته فيزهد فى المال ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة** »[1] أى : ذلك الذى يتصور أن المال عنده أهم من تعاليم الله ، ومن طاعة الله ورسوله ، فهو لا يؤتى المال على حبه أصحابه والمستحقين له ، وإنما يستمسك به : ويبخل به والله ينذر الباخلين بقوله : ﴿ **ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء** ﴾ [محمد : ٣٨] .

المستحقون للبر :

وانظروا إلى بقية الآية ، إن القرآن يرتب المستحقين فيقول : ﴿ .. **وآتى المال على حبه ذوى القربى** ... ﴾ ، فأهم من تعطيهم هم ذوو القربى .. ويعتبر البر بهم والإحسان إليهم إحساناً وصلة ، أى : إنك تحقق هدفين ، هدفاً لذاتك أنك تتخلق بأخلاق الله ، والله هو البر ، وتكون أنت أيضاً باراً بذوى

---

(١) حديث شريف .

قرباك ، وهدفاً آخر هو تماسك الأسرة ، وقوة الأهل فيما بينهم ، ذلك من أهم أهداف الإسلام ، يجب أن نحرص عليه ، وأن نستوفيه لأهلينا ، ولمستقبل أسرنا وذوينا .

البر واليتامى وذوى الحاجات :

﴿ .. **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى** ... ﴾ ، ولابد أن نستشعر هنا واجباً من الواجبات الخطيرة التى ينبغى أن نلتفت إليها ، إن القرآن يأتى بعد ذوى القربى باليتامى وهم أولى الناس بعطفنا ورعايتنا وبرنا .. فإذا اجتمع إلى صفة اليتم صفة القربى كان ذلك مضاعفة لمعنى البر ، فأنت تعطى اليتيم من بابيه ، من بابين أنه من ذوى القربى ، ومن باب أنه يتيم ، فقد من يعوله ويرعى شئونه .

وقد أوصى الله تعالى لتحقيق معنى البر فى هذين الصنفين أول ما أوصى .

﴿ .. **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب** ... ﴾ ، وكل ذلك يستقصى ذوى الحاجات فى المجتمع الإسلامى ، أولئك الذين ينبغى أن نقضى حاجاتهم .. وذوو الحاجات هنا كما نعلم يختلفون باختلاف الأزمان ، وقد نزلت آية فى القرآن بمناسبة جماعة من المهاجرين ، انقطعوا لحفظ القرآن وتعلمه ، دون أن يعملوا فى مهنة أو حرفة يتكسبون بها ، فكانوا ينتظرون عطاء الناس ويمنعهم حياؤهم وأدبهم أن يمدوا أيديهم بالسؤال ، فأوصى الإسلام بهم وحرص على لفت الأنظار إليهم وقال : ﴿ **للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**

تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

فهؤلاء الذين احصروا فى سبيل الله كانوا قديماً من الذين انقطعوا للعلم ، وقد يكونون الآن من أفاضل الأسر التى لا تتجرأ أن تمد يدها ، والتى تستحيى أن تسأل الناس عطاء ، وما أكثر هؤلاء الآن فى مجتمعنا ، وما أعظم أن نتوجه إليهم بالعطاء ، على أن يكون خِفيةً ، لا يذهبن أحد إلى أولئك المستحيين ، أهل الحياء وأهل الأدب وأهل الدين ليوصل إليهم حقهم علانية ، فالقرآن يقول : **﴿ إن تبدوا الصدقات فنعماً هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾** [البقرة : ٢٧١] .

الصدقة والعلانية :

والعجيب أن القرآن يتحدث عن الفقراء الذين احصروا بعد أن يقول : **﴿ وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾** ، معنى ذلك أن الأدب الإسلامى يعلمنا أننا يمكن أن نؤتى صدقاتنا علانية وهذا خير ومقبول عند الله مادام بريئاً من الرياء ، ولكنه فى حالات يتعين ، بل يتحتم ويلزمنا جميعاً أن نخفى الصدقة ، وذلك عندما نذهب إلى أهل الحياء المستورين الذين لا يحبون أن يعرف الناس عنهم أنهم يأخذون صدقات ، فمن حقهم أن تكون لهم كرامة .. من حقهم أن يلتزموا هذا الأدب وأن يحرصوا على آداميتهم وإنسانيتهم ، ومن واجبنا أن نحافظ لهم على كرامتهم وعلى إنسانيتهم ، وأن نتبلغ إليهم بكل ما يحفظ لهم قيمتهم ومركزهم ومقامهم .

إن رسول الله ﷺ يعلمنا هذا الأدب فيقول : « **أنزلوا الناس منازلهم** » بعض الناس يتصور أنزلوا الناس منازلهم يعنى إذا جاءك زائر محترم أجلسه فى كرسى محترم !! والواقع أن « **أنزلوا الناس منازلهم** » إنما هى كلمة عامة ،

معاملة هؤلاء الكرام الفقراء المستورين تنزلهم منزلة الستر .. ولهم منزلة المحافظة على قيمتهم وعلى مقامهم .. لا تجرح أخاك وأنت تعطيه .. فهذا مَنٌّ ، والله - عز وجل - نهى عن هذا الخلق فقال : ﴿ **يا أيها الذين أمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الأخر** ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

الصلاة بعد العطاء :

وعودة إلى الآية الكريمة : ﴿ **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة** ﴾ [البقرة : ١٧٧] أخر الصلاة على العطاء ، وانظروا إلى ترتيب الآية فى نفسها إذا أرادت أن تحقق لنفسك معنى البر فاعلم أنه تصرف وسلوك يأتى بعد الإيمان مباشرة فى ترتيب الأوليات ، وتأتى الصلاة بعد ذلك ، لأن الصلاة اتجاه إلى المشرق أو المغرب ، أى : إلى القبلة فهذا توجه معين ، وقد نفى القرآن أن يكون مجرد التوجه تحقيقاً لمعنى البر ، وإنما تقبل على الصلاة بعد أن تكون قد آمنت إيماناً عميقاً وبعد أن تكون قد آتيت المال على حبه إلى هؤلاء المستحقين حينئذ تكون صلاتك إيماناً حقيقياً وعبادة خالصة ، وبراً يمثل قيمة الإحسان .

وهذا هو الذى يفهم من وراء تأخير المخاطبة بالصلاة : ﴿ .. **وأقام الصلاة وآتى الزكاة** ... ﴾ ، أى إن الإيتاء الذى سبق ليس داخلاً فى الزكاة ، وإنما هو زيادة على الزكاة ، إنه عطاء النفس الكريمة التى تستجيب لله وللرسول ، والتى تحرص على أن تحقق ما أراد الله بمعنى البر ، فهو يسبق إلى العطاء قبل أن تجب عليه الزكاة وقبل أن يحين موعدها : ﴿ .. **وأقام الصلاة وآتى الزكاة**

والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى الباساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

بر الفقراء :

وانظروا أيها المسلمون ... إلى أن القرآن يصف للفقراء برهم ، فليس البر مقتصراً على الذين يملكون ، بل أن الذين لا يملكون أيضاً لهم بر ، إن الفقراء يستطيعون أن يكونوا بارين ، مستوفين معنى البر وحقيقته ، إنه يقول : **﴿ .. والصابرين فى البأساء ... ﴾** ، والفقير إذا صبر على بؤسه فإنه يكون قد حقق معنى البر ، وربما سبق الغنى الذى يؤتى المال على حبه ذوى القربى .. إلى أخر المستحقين .

هذا هو المعنى ، فقد شملت الآية تفصيل معنى البر ، على أنه العطاء المستمر ، والعطاء الشامل ، فالغنى الذى يملك يعطى المجتمع عطاء الشاكر ، والفقير الذى لا يملك يعطى المجتمع عطاء الصابر ، إنه لا يشوه صورة المجتمع ، ولا يشنع بنفسه ، وإنما يلتزم الأدب ، ويلزم الصبر على فقره ، مادام عاجزاً عن العمل ، وهذا هو الذى نفهم من أن الغنى فى الإسلام يحمل إلى الفقير حقه ، فلا يلجئه إلى أن يتخلى عن خلق الصبر على فقره ، بل يجعله يتلقى حقه فيترقى من مرتبة الصابر إلى مرتبة الشاكر .

وهكذا يتكامل المجتمع ويتحقق فيه معنى البر فلا يشوه المجتمع بالصورة التى نجدها فى مجتمعاتنا المعاصرة ، عندما يستعرض بعض الفقراء عاهاتهم ، وعندما يفرضون قلة حيائهم على الناس ، وقد يلحون إلحاحاً يدفع المعطين إلى البخل ، ويدفع الناس إلى الإمساك ، وذلك سلوك لا يليق بالمسلم .. المسلم حيى .. المسلم كريم .. والمسلم الصابر والشاكر يتكاملان فى هذا الخلق الذى

يتحقق به معنى البر فى الناس ﴿ .. **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ صدق الله العظيم .

الخطبة الثانية
عن الجمعة اليتيمة

أيها المسلمون ...

نحن فى رمضان فى هذا اليوم المبارك الذى تعود الناس فيه أن يصلوا الجمعة اليتيمة فى هذا المسجد ، وللناس موقف إزاء الجمعة اليتيمة اتصل فى الحقيقة ببعض المعتقدات التى لا مصدر لها من كتاب أو من سنة ، وإنما هى حكايات وآثار يتناقلها الناس عن بركة هذا المسجد .. وعن أنه يشهد يوم القيامة لكل من صلى فيه هذه الجمعة ، وهى معانٍ جميلة نحرص على أن يستمر الناس عليها تحقيقاً لمعنى من معانى الصدق فى العبادة ، ومعنى من معانى الاجتماع على الخير ، ولا بأس أن يجتمع الناس على الخير .

ولكن ينبغى أن نقف على هذا المعنى وقفة متأملة : إن الناس يجتمعون ليصلوا هذه الجمعة اليتيمة ، ولكن الطريف أنهم شعروا بمعنى اليتم فى تسمية الجمعة ، فوصفوها بأنها جمعة يتيمة ، فرقوا لحالها وتعاطفوا معها وجاءوا إليها يحيونها ويستمتعون باجتماعهم فى ساحة الجمعة اليتيمة !! ألا يمكن أن نلتمس معنى اليتم فى غير الأيام ؟! أن نلتمسه مثلاً فى الأطفال الصغار .. أن نلتمسه فى الأقرباء .. أن نلتمسه فى كثير من المواطنين الذين لا يجدون أباً أو أماً لأنهم لقطاء كما نصفهم ، أليس هؤلاء يتامى ؟؟! .

يتم الأيام :

وإذا كانت الجمعة اليتيمة تأتى مرة واحدة فى العام أفلا نتلفت إلى معنى اليتم الذى يقتحم أعيننا فى كل شارع وفى كل مكان وفى كثير من البيوت حتى إن المرأة إذا كان لديها يتامى تشقى بهم لأنها لا تجد ما تنفقه عليهم ولا تجد ما تعلمهم به أو ترعاهم ، والناس ينظرون إليها وكأنهم صخور صماء لا تشعر ولا تحس .

أيمكن أن يكون معنى اليتم هنا جديراً بتعاطفنا مع هذه النماذج البشرية التى دعانا الله – عز وجل – أن نتعاطف معها ونرعاها ؟ إن كثيرين اهتموا من غير المسلمين باليتامى وباللقطاء وأنشأوا لهم الدور والمؤسسات ، ورعوهم وحولوهم إلى دينهم ، مع أنهم المفروض أن يكونوا مسلمين ، لأن اللقيط دينه دين البلد ، ودينه دين الأرض التى التقط عليها والمفروض أن يتولى المسلمون أمره .

اليتيم :

اليتيم من لا أب له .. أو الذى مات أبوه من مرض أو مات من حادثة أو مات فى معركة أو مات فى حرب .. نماذج كثيرة وموجودة فى مجتمعاتنا ، لماذا لا يتولى المسلمون بصورة شاملة هذا الجانب الخطير فى تكوين المجتمع وفى بنيته ؟ لماذا لا يتولى المسلمون هذا الجانب الذى يشهد بأنهم رعوا الأمانة وحرصوا على الحق وحموا الأمة من أن تتغير عقيدتها أو تتحول ديانتها ، فحفظوا للأرض إسلامها ، وللإنسان إسلامه ، وللمستقبل هذا الدين ، وبذلك نحقق معنى البر فى رعاية اليتامى فى هذا المجتمع .

إن هذه القضية خرجت أيها المسلمون .. من دائرة اهتمامنا ، وأعرضنا عنها وتركناها لغيرنا يتولونها ، وقد لا يكونون ملزمين بهذا ، ومع ذلك فهم

يتبرعون ويتطوعون ، ويحرصون على أن يكون ذلك من مهماتهم ومن واجباتهم .

أيمكن أن يكون موقفنا هذا متفقاً مع تعاليم الإسلام ومع قيم الإسلام ومع مبادئه ، إنها دعوة أيها المسلمون .. يمكن أن ننطلق منها إلى تحقيق شيء مهم يشترك فيه الأغنياء والفقراء ، وللعلم ... لقد قلت لكم : إن البر للغنى عطاء ، وللفقير صبر على البأساء .

ومعنى ذلك أن الغنى يتعبد بعطائه ، وأن الفقير يتعبد بصبره ، وأَخْذِه لحقه والغريب أن هذا المعنى فقد تماماً من سلوكيات الفقراء فى مجتمعاتنا المعاصرة ، الفقير الآن إذا مد يرد ليأخذ صدقة لا يتصور أنه يتعبد إلى الله بذلك ، وإنما هو يأخذ ويضع فى جيبه وينفق دون أن يلتفت إلى أن مجرد مد يده هو عبادة ، وأنه حين يأخذ يأخذ عبادة ، فعمله موصول بالعبادة ، وهو مشترك مع الغنى فى عبادة واحدة مقسومة إلى نصفين : نصف للغنى ونصف للفقير .

لكن المشكلة أن الفقير ينسى وهو يحصل على حقه أنه متعبد ، وأن الله – عز وجل – لم يحرمه معنى العبادة ، فهو فى هذا الموقف مثاب على ما يلتزم به من خلق ، وهو يستطيع أن يفعل كما يفعل الغنى ، وأن ينال ثواب الله الجزيل .

جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ وقالوا له : « يا رسول الله .. ذهب أهل الدثور بالأجور » ، – أى أهل الغنى ذهبوا بالأجر كله – يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم .

فقال : « **أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة** » .

وأنا أقول إن سعى الفقير وأخذه لحقه الذى هو مكتوب فى القرآن : ﴿ .. **حق معلوم * للسائل والمحروم** ﴾ [المعارج : ٢٤ - ٢٥] ، هو حقيقة العبادة بالنسبة إلى الفقير ، كما أن العطاء من حقيقة البر بالنسبة إلى الغنى .

مشروع اليتيم :

أيها المسلمون ...

انظروا إلى اليتامى وإلى من لا عائل لهم وحاولوا أن تفعلوا شيئاً بمناسبة هذه الجمعة اليتيمة فليكن هذا اليوم فى حياتنا يوم تكريم اليتيم .. فى كل بيت من بيوتنا نحاول أن نجد يتيماً لنكرمه فى هذا اليوم خاصة .. ونكرمه فى كل الأيام بصفة عامة ولو أن إرادتنا اجتمعت على أن يكون عطاؤنا فى هذا اليوم مرصوداً لإنشاء دار بجوار مسجد عمرو بن العاص لرعاية اليتامى [1] واللقطاء ، وللسعى فى هذا الباب من البر لكان ذلك أفضل تحقيق لهذا المعنى الذى نستمده من الجمعة اليتيمة ، لكى نجعل من كرامة اليتيم التزاماً وشعاراً فوق رؤسنا لا نتخلى عنه أبداً .

والقرآن يعتب على قوم لم يفعلوا هذا فيقول : ﴿ **كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين * وتأكلون التراث أكلاً لماً * وتحبون المال حباً جماً * كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً * وجاء ربك والملك صفاً صفاً * وجاىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر**

---

(١) هذا المشروع خصص له محافظ القاهرة السابق الدكتور محمود شريف الذى صلى الجمعة فى الجامع يوم ٤ شوال ١٤١١ هـ / ١٩ إبريل ١٩٩١ م قطعة أرض بجوار المسجد وصدر بها قرار المحافظ ، ولكن بسبب تعنت رئاسة حى مصر القديمة وعراقيل وكيل أول وزارة الإسكان بالمحافظة لم تتمكن لجنة الزكاة من الأرض حتى مضى عام وسحبت ، لأنها كانت بجوار أرض كانت مخصصة لمركز شباب عمرو بن العاص نتيجة الخلاف بين عضوى مجلس الشعب فئات ، والرسومات مازالت طرف لجنة الزكاة .

الإنسان وأنى له الذكرى * يقول يا ليتنى قدمت لحياتى ﴾ [الفجر : ١٧ – ٢٤] ، يا ليتنى أكرمت اليتيم .. يا ليتنى حضضت على طعام المسكين .. يا ليتنى ما جمعت الدنيا وحرصت عليها ومنعت حق الله ﴿ .. **يا ليتنى قدمت لحياتى * فيومئذ لا يعـذب عذابه أحـدٌ * ولا يوثق وثاقه أحـداً ﴾** [الفجر : ٢٤ – ٢٦] .

أما الذين اتجهوا إلى هذا المعنى فيقال لهم : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعى إلى ربك راضية مرضية * فادخلى فى عبادى * وادخلى جنتى ﴾** [الفجر : ٢٧ – ٣٠] .

أسأل الله – عز وجل – أن يوجه قلوبنا إلى معانى الخير .

* * *

أنواع البر ومعناه الحقيقي

أيها المسلمون (*) ...

هذا شهركم العظيم **﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾** [البقرة : ١٨٥] – أشرف على نهايته وقد صمتم لربكم نهاره .. وقمتم لربكم ليله .. وعرفتم به طريق الهدى وطريق الحب فى الله هذا هو شهركم رمضان الذى تتعلم فيه الأمة معنى البر والإحسان .. إنه المدرسة التى جعلها الله – تبارك وتعالى – لتتلقى فيها الأمة كل تعاليمها فيما يتعلق بالأخوة ، وبمعانى البناء العام الاجتماعى ، فى هذا المعهد .. معهد رمضان تبرز معانى الخير وتتضح كل تعاليمه فى أيامه ولياليه .

وحسبكم أن تتلقوا هذا الدرس من القرآن فى آية البر الجامعة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : **﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك المتقون ﴾** [البقرة : ١٧٧] .

هذه الآية هى جُمَّاعُ البر فى القرآن وهى المعهد الذى ينبغى أن يتتلمذ فيه كل الناس ، ليتعلموا أخلاقيات البر ، فهو ليس شكلاً من الأشكال وليس مظهراً

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٣٠ رمضان ١٤١٣ هـ / ٣ إبريل ١٩٩١ م .

من المظاهر ، وإنما البر علاقة حميمة بين أفراد المجتمع ، تربط أجزاءه فيما بينها ، البر ليس مظهراً من المظاهر ، فالله يقول : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، لا ينبغى أن تتشاغلوا بذه الأمور الشكلية وتنسوا المعنى الحقيقى للبر .

والمعنى الحقيقى للبر هو : ﴿ **من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وهذا الإيمان هو الجزء الذى يربط المؤمن بالملأ الأعلى ، وهو القاعدة التى يشع منها معنى البر ، لأنك لن تقوم بالبر معنىً مجرداً عن أى شىء بل هو موقف اعتقادى عميق ، ينعقد عليه القلب ، ولابد أن يستقر فى وعيك الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وكل ما يتصل بعالم الغيب ، مما هو معلوم من الدين بالضرورة .

البر والإيمان الشامل :

وهذا الإيمان الشامل الجامع هو الذى يصلح صيغة لأهل الأديان جميعاً لأن الإيمان لا ينبغى أن يفرق بين نبى ونبى .. وهكذا جاءت عقيدة الإيمان فى الإسلام ﴿ **كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، ثم يأتى بعد ذلك قول الله – عز وجل – فى تحقيق معنى البر ﴿ **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة** ﴾ والملحظ هنا أمران :

الأمر الأول أن الله – عز وجل – ذكر نوعين من البر بمعنى العطاء :

النوع الأول : ﴿ **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ..** ﴾ [البقرة : ١٧٧].

النوع الثانى : ﴿ .. **وآتى الزكاة** ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

ذلك لكى ينفى عن أذهان المؤمنين أن يتصوروا أن البر هو أن تؤتى الزكاة فقط .. زكاة المال ، وبذلك تكون محققاً معنى البر .. لا .. قبل إيتاء الزكاة يأتى نوع أهم وهو قوله تعالى فى هذه الإشارة القرآنية العظيمة ﴿ **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ...** ﴾ .

إذاً ففى المال حق غير الزكاة كما قررت النصوص وكما تواردت الآثار وكما تقرر هذه الآية ، والغريب أن تعبير القرآن يقول : ﴿ .. **وآتى المال على حبه ...** ﴾ كأنك لا تؤتى المال فقط ، وإنما أنت تؤتى الحب ، وانظروا إلى تحقيق معنى البر فى هذا التعبير القرآنى ﴿ .. **وآتى المال على حبه ...** ﴾ ، أنك مطالب بأن تقدم للناس الحب أولاً .. والحب أخيراً .. والحب دائماً .. لا يكون العطاء اغتصاباً للنفس ، ولا يكون استكراهاً ، وإنما يكون العطاء حبا أولاً وهذه اللغة لم تعرفها الدنيا أبداً قبل أن تسمعها من القرآن وحده ، أن تؤتى المال الذى تحب أولئك الذين يستحقونه لإنهم أحب إليك من المال .

البر والحب فى المجتمع :

انظروا إلى العلاقة التى يطالب بها القرآن المؤمنين ، إنه يقول لك إنك تملك مالاً حقاً ، ولكنك تحب هذا المال فكيف تؤتى هذا المال الذى تحب .. كيف تتنازل عنه ؟ .. كيف توزعه على الآخرين وتتخلى عنه ، وتصبح يدك خالية منه ؟ .. لم يعد لديك مال لأن هنالك حباً آخر أقوى من حبك للمال هو حبك لذوى القربى ولليتامى والمساكين ولأبناء السبيل وللسائلين وللعبيد الذين يحتاجون إلى التحرير ؟.

هذه الأصناف فى المجتمع لا تعيش أبداً إلا بين أمرين : أن تجد الحب فى المجتمع فيكفيها حاجياتها ويسد رمقها ويقضى رغائبها أو أن نفقد تفق الحب فتنصرف إلى الكراهية ، وإلى البغض وإلى الحقد ومن هنا كانت ملاحظاتنا لتعبير الآيــة : ﴿ .. **وآتى المال على حبه** ... ﴾ ، لأن الحب هو الذى يحل المشكلات ، ليس مجرد العطاء حلاً للمشكلات .. ليس أن تضع فى يد الفقير أو المسكين أو ذوى القربى مالاً فتحل المشكلة لأن المشكلة ليست مشكلة البطن أو مشكلة العطاء المادى ، ولكن المشكلة مشكلة وحدة هذه الأمة .. وحدة المشاعر .. وحدة العواطف .. وحدة القلوب ، وهذه القلـوب التـى وهبهـا الله - عز وجل - لكل أفراد الأمة هى قلوب الأغنياء والفقراء وذوى القربى واليتامى والمساكين وأبناء السبيل والسائلين وفى الرقاب ،كل قلوب الأمة تشكل وحدة هى الأمة ، فإذا تصور الأغنياء أنفسهم مستأثرين بما أعطاهم الله ، وإنهم لا علاقة لهم بالآخرين ممن لا يملكون مالاً - فهم مغفلون جاهلون ، لأنهم تربطهم بهؤلاء الفقراء والمساكين رابطة أساسية هى رابطة القلوب التذ ذكرها الله - عز وجل - كأعظم نعمة أنعم بها على عباده حين قال : ﴿ **لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم** ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

هل رأيتم أن هنالك ما هو أثمن من المال فى أيدى الناس ؟! وأن حبك للفقير أغلى وأثمن من هذا المال الذى قد تتصور لحظة أنك به غنى عن النـاس ؟!! كلا .. إنك تحتاج إلى قلوب الناس أشد من حاجتك إلى المال ، وأن هذا المال إذا لم يصنع العلاقات بين أفراد المجتمع .. بين الفراء والأغنياء .. بين الأصحاء والمرضى .. بين الأقوياء والضعفاء - فلا قيمة لهذا المال ولا أهمية له .

البر والعلاقات بين الناس :

وانظروا إلى المجتمع المسلم فكل المشكلات التي يعانى منها هى مشكلة العلاقات بين الناس بعضهم وبعض ، اللص لا يسرق إلا لأنه لا يحب ضحيته ، إلا لأنه يحقد على من يسرق .. النصاب لا ينصب إلا لأنه يكره الآخرين .. قلبه امتلأ بالحقد .. المغتصب لا يغتصب إلا لأنه لا يملك معنى الحب ، لو أحب الآخرين لما اغتصب أموالهم ، ولا استهان بحقوقهم ، وهكذا نضع أيدينا على أهم نقاط البر : وهى الحب ، هذا هو المعنى الأول .

والمعنى الثانى أيها الأخوة المؤمنون .. أننا نتصور أن المفروض علينا هو ما نص على فرضيته ونحن بذلك نجهل معنى الفرضية ، الله فرض علينا الزكاة ، وأوجب رسول الله ﷺ زكاة الفطر فى أخر رمضان .. وليس هذا هو كل ما افترضه الله علينا إذ ينبغى أن تلاحظ أمراً دقيقاً هو أن ما فرضه الله – عز وجل – هو أضعف الإيمان فى حياة الناس وأن ما أحبه الله للناس هو ما دعاهم اليه دون أن تقترن الدعوة بمفهوم الفرضية وقال : ﴿ .. **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين** ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

قد نتصور أن قوله تعالى : ﴿ .. **وآتى المال** ... ﴾ إنما جاء على سبيل الاستحباب أو على سبيل الندب والترغيب ، وهذا جهل بمفهوم القرآن ، إن الله يقول .. فهل تريدون بعد قول الله ما يُلْزِمُكُمْ ؟ .. ماذا يُلْزِمُنَا إلا أن نعلم أن هذا هو ما يريده الله ؟ هذا هو ما يحبه الله ؟ فعندما تكون عند حب الله وإرادة الله ، وتلزم نفسك بذلك فأنت إذن مؤمن محقق لمعنى البر .. مؤمن محقق لما يرضى الله وما افترض عليك ، وإذا لم تأت الفرضية نصاً وتصريحاً فلتكن الفرضية بأن يلزم العبد نفسه بهذا العطاء ، فكل ما دعانا الله – عز وجل – إليه فى القرآن هو

ما يحبه .. وماذا نريد أن نفعل فى هذه الحياة إلا ما يحب الله ؟ .. إلا ما يرضى الله .. وهل نريد رضوان الله بما لا يرضى الله ؟ هل يجوز أن تحبس حقوق عباده وتريد أن تحصل على رضوانه ؟ هذا هو المعنى الذى ينبغى أن ندركه بدعوة القرآن دائماً إلى العطاء وإلى السخاء ، وبهذا يمكن - أيها المؤمنون - أن يتحقق معنى البر لا فى رمضان وحده ، ولكن فى بقية شهور العام .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ،،،،

* * *

الخطبة الثانية
البر وشهر رمضان

أيها المسلمون ...

ها نحن أولاء فى آخر يوم من أيام رمضان ، وإذا كان رمضان عامراً بالصيام والقيام فإن آخر يوم فيه لا قيام له وإنما شعيرة أخرى وعمل آخر ، وهو أن نخرج زكاة الفطر فيه ، وأن نساعد على أن تتقبل السماء صيامنا وقيامنا ، فصوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر .. هكذا قال رسول الله ﷺ وليس فينا إلا من يرجو أن يتقبل الله صيامه ، وأن يتقبل قيامه وأن يجعله من الذين رضى عنهم ورضوا عنه كلنا نرجو هذا الرجاء .

ولا ريب أن هناك فرقاً بين زكاة الفطر والزكاة المفروضة العامة - زكاة المال - زكاة المال على ما يملك الإنسان من رؤوس الأموال ، بدءاً من النصاب ، ولها أحكام معروفة يلم بها أكثر الناس ، أما زكاة الفطر فهى زكاة

الأنفس ، تقدم بعدد أفراد الأسرة ، ولا يفترض فيها أن يملك الإنسان نصاباً ، ولكن المفروض أن كل من يملك قوت يوم العيد فعليه أن يخرج زكاة الفطر مما زاد عنه لأن المسألة هنا ليست بحسب ما يملك ، ولكنها شعيرة تختم بها فريضة الصوم ، ويستقبل بها عيد الفطر ، وحتى لا يكون فى مجتمع المسلمين سائل محروم فى يوم الفرحة بالعيد .

فمادام المسلم يملك قوت يومه فليحاول أن يرفع صيامه إلى السماء بأن يؤدى ما يسمى بزكاة الفطر ، بحسب وسعه ، صحيح أن الأئمة والسادة العلماء حددوا لنا مقدارها لكل فرد ، لكن هذا أضعف الإيمان ، ويمكن أن يزيد الإنسان على المقدار المحدد ويمكن أن يدفع آلاف الجنيهات زكاة الفطر .. ولم لا ؟ .. ما دام يملك ما أغناه الله به من فضله ، حتى ولو كان أقل القليل .

إن الصائم طالب مغفرة ، والمغفرة كنز عظيم يسعى الإنسان إلى أن يكسبه فليفعل كل ما يستطيع من أجل أن يغفر الله له ، وهو فى نفس الوقت يسد حاجات المجتمع ، ويعالج مشكلاته ، ولا شك أن مجتمعنا يحتاج إلى عطاء كثير .

البر وكرامة المحتاج :

إننا نسير فى الشوارع ونرى كثيرين يمدون أيديهم بالسؤال بأساليب مختلفة ، لا ينبغى أن يوجد فى مجتمعنا من يسأل أو يتسول فى يوم العيد ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **أغنوهم عن المسألة فى هذا اليوم** » ، وعلى ذلك لو سأل سائل في يوم العيد لأثم الناس جميعاً ، لأن وجود السائل فى الشارع قضية تهم كل فرد ، فليست مسألة يلتفت عنها الإنسان يميناً أو يساراً أو يغمض عينيه فلا يرى من يسأله ، إن الله قال : ﴿ .. **والسائلين** ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وقال : ﴿ **وأما السائل فلا تنهر** ﴾ [الضحى : ١٠] .

إذن فمجرد سماع الإنسان للسؤال يلزمه بأن يعطى ولا ينهر .. فهو عطاء لا يشوبه من ولا أذى ، عطاء سخى نابع من عاطفة الحب ، لأن الله قال : ﴿ .. **وآتى المال على حبه** ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] هذا أولاً .

وثانياً إن المجتمع مطالب أيها المؤمنون .. بأن يوفر الكرامة لهذا الصنف من الناس ، الكرامة التى هى حق لكل إنسان على هذه الأرض ، لا ينبغى أن يعيش إنسان بلا كرامة ، وإذا فقد إنسان كرامته فقد نفسه تماماً ، وأصبح يائساً يفضل الموت على الحياة ، ومن هنا كانت الكرامة طعاماً وغذاء للروح نص عليه القرآن فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم** ﴾ [الإسراء : ٧٠] ، هكذا جعل الله الكرامة حقاً مكفولاً لكل آدمى ، منصوصاً عليه فى كتاب الإسلام ، فهو لم يقل (المؤمنين) .. ولم يخص (العرب) .. ولم يقصره على (المسلمين) ، وإنما قال ﴿ .. **بنى آدم** ﴾ ، ليعلم كل مخلوق أن خالقه كفل له كرامته ، بما هو عبد من عباد الله .

فالكرامة فى منهج الله حق لكل إنسان ، والمجتمع لابد أن يتضامن بكل مؤسساته كيما يوفر الكرامة لكل إنسان على هذه الأرض ، وبلدنا مصر ، هى بلد الإسلام ، ووطن الكرامة ..وهى هبة الله – تبارك وتعالى – التى وقفها لهذا الدين ، وجعلها مدافعة عن بيضته وعن حماه ، فلا ينبغى أن يفقد إنسان على أرض مصر كرامته ، وأن يبتذل ماء وجهه فى التعرض والسؤال ، هذا حق يجب أن تنهض لتوفره كل مؤسسات المجتمع ، وأن تجعل أول واجباتها توفير الكرامة لكل إنسان ، يعيش على تراب مصر ، فذلك قدر الله لكل بنى آدم .

ونسأل الله – تبارك وتعالى – أن يوفر لنا كرامتنا فى أوطاننا .. وأن يحقق لنا الكرامة بعزه الذى لا يضام ، فى ظل من تطبيق شرائع الإسلام .

* * *

البر منهاجاً للمؤمنين

يتوجه القرآن إلى بيان حقيقة الإيمان المطلوب(*) ، فيقول (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ ، فأهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يحصلون من الإيمان إلا ظاهره وشيئاً من أطرافه ، حين يتوجهون إلى المغرب أو إلى المشرق ، باعتبار أن ذلك هو غاية المطلوب منهم لتحقيق معنى البر ، وقيمة الإيمان ، ولكن هذا ليس من الإيمان ، ولا جزءاً من حقيقته .

الإيمان هو الكلمة الجامعة التى تضم الناس وتبسط لهم مجالاً رحباً يلتئمون حوله : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ...** ﴾ أجل هذا هو الإيمان ، بر فى القلب بنقاء الاعتقاد ، وبر فى الواقع بالعطاء وبالعبادة : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة**

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ١٠ محرم ١٤١٣ هـ / ١٠ يوليو ١٩٩٢ م .

والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ... ﴾ ، لم يترك الوحى طائفة دون أن ينالها بره ، لم يترك محتاجاً ، هذا هو المنهاج الإيمانى ، ليس المؤمن مجرد رجل (فى حاله ومستور) وحسبه من الدنيا أن يستره الله ويجعله فى حاله .. المؤمن ينبغى ألا يعيش هكذا ، فهو فى حكم المنهج القرآنى يفتش دائماً عن ذوى الحاجات ، يفتش عن الفقراء وعن المساكين وعن اليتامى وعن أبناء السبيل وعن ذوى الحاجات الذين يحتاجون إلى عطائه .

هذا هو مسلك الإنسان المؤمن ، والمفروض أن يكون هذا شأننا جميعاً أن نبحث عن ذوى الحاجات ، وأن ننيلهم برنا وعطفنا ، وأن نتضامن ونتكافل فى حياطة المحتاجين والفقراء ، لأنه من العيب جداً على مجتمع المؤمنين أن يكون فيهم شبعان وإلى جواره جار جائع ، هذا كفران وجحود بنعمة الله ، سمع صحابة رسول الله ﷺ نبيهم يصرخ فيهم ويقول : « **والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن** .. !! فتساءلوا : من يا رسول الله ، فيقول : **من يبيت شبعان وجاره إلى جانبه جائع** » .

أليس هذا نذيراً لنا جميعاً أن نتنبه إلى هذه النقطة من نقاط الإيمان ؟ إننا لا نحصل الإيمان ولا نحققه بمجرد أن ننطق بالشهادتين ، أو بمجرد أننا مستورون فى بيوتنا والحمد لله ، لا نحتاج لأحد ، ولا نتصل بأحد ... لا ... الإيمان صلات وعلاقات وارتباطات وألفة مع الأخرين ، وبحث عن ذوى الحاجات .. من الناس من تخصص فى البحث عن الأغنياء ، وعن أرباب السلطة ، فهو يقتل نفسه سعياً إلى هذا الغرض ، يحاول أن يصل إلى القمم ، وإلى المقاعد الوثيرة ، وإلى المناصب العظيمة ، تغريه الأبهة والبذخ ، ويتصور أنه

يحقق نوعاً من تأمين المسيرة فى هذه الحياة ، وهو لا يُؤمِّنُ نفسه ، بقدر ما يضيعها .

فريضة إيتاء المال :

من أراد أن يؤمن نفسه فليصل عباد الله من الفقراء والمساكين واليتامى ، هؤلاء هم الحصن الحصين ، وهم الدرع الواقى التى تتدرع بها وتتوقى العذاب يوم القيامة : ﴿ .. **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وأتى الزكاة** ... ﴾ ، إن إيتاء المال – هنا – شيء وإيتاء الزكاة شيء آخر ، الزكاة فريضة ، ولكن إيتاء المال فريضة أُكَدُ من فريضة الزكاة ... تخيلوا .. !!

لقد فرض الله علينا الزكاة .. ولكنه قدم على هذه الفريضة ذلك الأمر الخبرى ﴿ .. **وآتى المال على حبه** ... ﴾ ، كأنما يقول للمؤمن : إذا كنت آمنت بالله واليوم الآخر فأد فريضة العدل ، لأن اليوم الآخر لا معنى له إلا العدل ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً** ﴾ [الأنبياء : ٤٧] ، والعدل لا يتحقق فى الدنيا إلا بالالتزام بموجب القول الكريم : ﴿ .. **وآتى المال على حبه ذوى القربى** ... ﴾ ، فإذا كنت آمنت بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين فلابد أن تؤتى المال على حبه بنفس مستوى إيمانك ، فإذا طلب الحق سبحانه منا الإيمان ، ثم أتبعه بقوله : ﴿ .. **وآتى المال** ... ﴾ ، فالإيتاء هنا معنى من الفريضة يتقدم على قوله ﴿ .. **وآتى الزكاة** ... ﴾ التى ستأتى فيما بعد .

وكأنه يقول : إن مقياس صدق الإيمان هو ما يمكن أن يبذله المؤمن من إيتاء ما يحب من المال إلى الآخرين ، أن يتنازل عما يحب للآخرين ، هذا مقياس تِرك للإنسان المؤمن أن يحدد أهميته بالنسبة لحياته ولإيمانه .

ثم يقول القرآن : ﴿ .. **وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا** ... ﴾ ، حين يقول القرآن : ﴿ .. **والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس** ... ﴾ ، يتحدث هنا عن المجاهدين .. عن الذين يبتلون إبتلاء بعدو يغير عليهم .. بظالم ينكل بهم .. بمفتر ينزل بهم من العقاب ما لا قبل لهم به ، فإذا بضاعتهم هى الصبر ، وإذا بسلاحهم هو الصبر فى البأساء والضراء وحين البأس .

البر والبأساء :

والبأساء تكون عندما يكون هنالك فقر وحاجة لا يطيقها الناس فهم يصبرون ويتغلبون على ألم الحاجة والفقر بالصبر عليه ، وبالعمل على معالجته ، والضراء تكون حين ينزل الضر بالناس فهم أيضاً ثابتون لا يتزلزلون ﴿ .. **وحين البأس** ... ﴾ ، حين يواجهون عدواً غاشماً ينزل بهم من البلاء مالاً يطيقون .. ومالا ليس له أن ينزله بهم ، والظلم واقع فى كل مكان وفى كل زمان .. وأعداء الإيمان لا يكفون عن التوجه إلى الإيمان بالطعنات والضربات .. هكذا شأن الصراع بين الحق والباطل ، بين الإيمان والكفر .

وهو أمر ليس غريباً ولا نادراً ، وإنما هو وارد دائماً ، ومن الناس من يتصور أنه بمأمن من الأعداء ، بعيد عن مراكز الصراع ، ومع ذلك فإن طبيعة الحياة المعاصرة لم تعد تترك إنساناً فى حاله ، لم يعد أمر الحرب مواجهة بين ندين يطعن كل منهما الآخر ، وإنما أصبحت القذائف والصواريخ تتولى الهجوم من أبعاد تصل إلى مئات الكيلومترات وهو أمر يجعل كل مؤمن ملزماً بأن يكون يقظاً فى مواجهة أعدائه ، يحسب حساب ما قد يطرأ فى الغد من نكبات تنزل بالجماعة المؤمنة ، لابد أن يتعلم الناس كيف يواجهون النكبات بالاستعداد لها .. كيف

يواجهون النكبات بالصبر عليها .. كيف يواجهون النكبات بمقاومتها وصدها وبالصبر على لأوائها وبأسها .

البر وأهل الصدق :

كل هذا درس من دروس الإيمان التى يتحدث عنها القرآن على أنها من حقائق البر ، الذى يُدْعَى إليه المؤمنون فى هذه الآية الجامعة ﴿ .. **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ ، انهم صادقون مع الله لأنهم حين آمنوا بايعوا فباعوه أنفسهم وأموالهم بيع السماح : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ [التوبة : ١١١] ﴿ .. **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، إنهم هم الذين يتصفون بالتقوى حقاً ، لأنهم خافوا الله واتقوه وهم أيضاً وقوا أنفسهم وأهلهم النار التى وقودها الناس والحجارة ، فهؤلاء هم المتقون حقاً ، وهم الذين يحققون فى إيمانهم معنى البر الحقيقى والكامل ، هذا هو الدرس الذى تجمعه هذه الآيات .

أسأل الله – عز وجل – أن يجعلها لنا درساً وسلوكاً ، وعملاً وإيماناً .

* * *

الإنفاق في سبيل الله

يقول الله – تبارك وتعالى – فى كتابه الكريم (*) : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم * الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم ﴾** [البقرة : ٢٦١ – ٢٦٣] .

أيها المسلمون ...

هذه الآيات سبقتها آيات الإيمان من أول آية الكرسى التى ذكر الله – عز وجل – فيها ما وصف به نفسه من صفات حسنى ، ما ثم قرر المبدأ العظيم الذى لم تعرفه البشرية إلا فى القرآن **﴿ لا إكراه فى الدين ... ﴾** [البقرة : ٢٥٦] ، فالله – عز وجل – قد بان أمره ، وانبلج الصبح عن الحقيقة ، فلم يعد هنالك إنسان معذوراً فى أن لا يؤمن بالله .

ومن هنا فقد أعطى الله عباده وخلقه الحرية المطلقة تجاه قضية الإيمان ، وحسابهم فيما يتحملون من مسئولية هذه الحرية يوم يلقونه **﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام بها والله سميع عليم ﴾**

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٢٦ رمضان ١٤١٣ هـ / ١٩ مارس ١٩٩٣ م .

[البقرة : ٢٥٦] ، يأتى بعد ذلك الدرس الذى يلى الإيمان فعلاً وهو بناء الأمة – أمة الإيمان – كيف تبنى .. ؟؟ لقد دُعِينَا إلى الإيمان فآمنا ، وسجدنا للذى أمنا به ، هل انتهى درس الدين ؟ وتوقف مدد الهداية عند حد تحقيق الإيمان .. ؟؟ كلا .. إن الإيمان لا يعيش إلا فى أمة تحميه ، وتدافع عنه وتنشر دعوته ، وهذه الأمة من الناس لا يمكن أن تعيش إلا على أساس حياة اقتصادية يتوفر فيها دائماً العطاء وتبادل الأموال .. العطاء الذى لا حدود له يتوقف عندها ، إلا أن تنتهى الحياة .

لقد استمر القرآن يبنى الأمة بهذا الإسلوب الذى دعا إليه المؤمنين ، والناس جميعاً مؤمنون بالله ، بوجوده وبوحدانيته ، خاضعون لأحكامه ، لكن منهم الغنى ومنهم الفقير .. فكيف يتعايش الفقر مع الغنى .. ؟؟ إن الفقر كريه الرائحة ، والغنى طيب الرائحة كيف يجتمعان ؟ إنهما يجتمعان فى ظل الإيمـان ، وتحت رايته يختفى معنى الفقر ويختفى معنى الغنى ولا يبقى إلا حقيقة واحدة هى أن هؤلاء المؤمنين هم خلق الله وعباده ، وأن ما يعيشون فيه هو ملك لله وحده ، فهم لا يستطيعون أن يزعموا أنهم خلقوا المال ، ولا أنهم رزقوا أنفسهم ، وإنما آتاهم الله من فضله ، ومكنهم من ماله لكى يتعايشوا معاً ، إنهم شركاء فيما هو أهم من المال ، شركاء فى العقيدة وهى حياتهم فى الدنيا ، وهى مصيرهم فى الآخرة ، فما الذى يحرص عليه الإنسان بعد أن يؤمن عقيدته ويضمن مستقبله ومصيره ؟!.

ما قيمة المال إذن .. !!

إنك ضمنت بالإيمان الجنة ، فليس عليك إلا أن تضمن استقرار جماعة المؤمنين ، وتؤمن حياتهم ، وتبنى وتساعد فى بناء هذه الأمة بالإنفاق فى سبيل الله ، وهذا هو التناسق بين آيات العقيدة وآيات الإنفاق التى تأتى بعدها مباشرة ،

بالطبع نحن نعلم أن بين الإيمان والزكاة فريضة الصلاة .. لكن الصلاة هى ترجمة لكلمة الإيمان ، لقد آمنت فسجدت لله ربك ، أما الخطوة التالية فهى الإنفاق فى سبيل الله كما حددت الآية : ﴿ **مثل الذين ينفقون فى سبيل الله** ... ﴾ [البقرة : ٢٦١] ، وسبيل الله هو بناء هذه الأمة ، بعض الناس يتصورون أن سبيل الله هو أن تتصدق على فقير فتكون قد أنفقت فى سبيل الله ، كلا .. فهذا معنى مبتسر .. ضيق .. محدود فى مفهوم الإنفاق فى سبيل الله .

فريضة الإنفاق :

الإنفاق فى سبيل الله هو الفريضة التى فرضها الله عليك وهى الزكاة بأنواعها ، زكاة المال .. زكاة الزروع .. زكاة الثمار .. زكاة الحيوانات والأنعام .. كل الزكوات ، وهى فرائض ، تشمل كل ما يملك الإنسان ، ثم الصدقات التى تدفعها وقد تكون فرضاً إيمانياً من باب قوله تعالى : ﴿ .. **وآتى المال على حبه ذوى القربى** ... ﴾ إلى أخر الآية .

الصدقة سنة كما نعلم ، ولكن السنة قد تتحول إلى فرض عندما يكون الرهان على الإيمان ، ومن ذلك ما يشير إليه رسول الله ﷺ عندما وقف وقال : « **والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن .. والله لا يؤمن** ، فقالوا : من يا رسول الله ، قال : **الذى يبيت شبعان وجاره إلى جانبه جائع** » .

فالإيمان هنا فى مهب العاصفة ، ولا ينقذه إلا الصدقة ، فلو وجد المؤمن أن إيمانه سيضيع هل تكون صدقته على جاره سنة واختياراً ؟ لابد أن يعطى جاره وإلا ضاع إيمانه ، وهنا يكون الفرض ما يلزم الإنسان به نفسه ، لأنه إن لم يتصدق ضاع إيمانه ، وفقد عقيدته ، وهكذا يكون الإنفاق فى سبيل الله عملية مستمرة لبناء الأمة .

والعجيب أن القرآن يقول : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة ...** ﴾ [البقرة : ٢٦١] ، فيقابل بين الأموال تنفق فى سبيل الله وبين الحبة ، ما الذى يجمع بين الأموال وبين الحبة ؟؟ ، وما وجه الشبه بين الطرفين ؟ ، أولاً : إنك مهما بلغت فى غناك وفى إنفاقك فلن تكون إلا ذرة فى هذا الكون الذى خلقه الله العظيم ، ما أمولك التى تدفعها ملايين إلا ذرة .. الأرض التى تعيش عليها .. ذرة فى هذا الكون ، لذلك كان التناسب بين ما تنفق من الأموال وبين الحبة ، وهنالك وجه آخر عن الحبة التى أنفقتها .. هل أنت الذى خلقها ؟ هل أنت الذى كونها ؟ إن الله – عز وجل – هو الذى أوجد لها التراب وزود التراب بعناصر الغذاء ، ثم أنزل لها من السماء ماء لا تملكه أنت ، ولا يملكه أحد ، فهو وحده الذى ﴿ **أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها** ﴾ [الرعد : ١٧] ، ثم أرسل إليها الأشعة والحرارة والشمس ، ثم جعلها تتنفس بالهواء والأوكسچين ، كل ذلك عمليات لا شأن لك بها ، وأنت لا تستحضرها ولا تتذكرها ، وأنت تأكل الحبة ، تتصور أنك تملك منها الملايين .. فعندك الجرن ، والجرن مليء بالقمح ، وكل هذا من زراعتك .. زراعتك أيها المخلوق الضعيف !! من أنت وما زراعتك ؟ إنه فضل الله عليك ، إنه رزق الله الذى أنزله إليك ﴿ **وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم** ﴾ [إبراهيم : ٣٢] .

هكذا يكون التماثل بين الحبة والأموال ، لأن الأموال هى فى الحقيقة ثمرة الحبة ، أنت تزرع ثم تبيع فتجمع الأموال ، أنت تبنى ثم تبيع فهذه ثمرة الأموال ، أنت تتاجر وتبيع فتجمع الأموال ، هكذا تتصور أنك فعلت ، والحق أن الله هو الفعال لما يشاء ، وهو الذى خصك بهذه الأموال التى لا تساوى فى ميزان الحق – تبارك وتعالى – حبة ، إلا بشروط معينة .

حساب الله فى الأخذ والعطاء :

الشرط الذى اشترطه القرآن بعد أن شبه وأغرى وحببنا فى الإنفاق : **﴿ كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم * الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى ﴾** [البقرة : ٢٦١ – ٢٦٢] ، هذا هو الشرط أن تعطى من مال الله عباد الله ، فأنت تتعامل مع الله أخذاً وعطاء ، ينبغى أن تصفى نيتك وأن يشف قلبك فتجعل إنفاقك لله – عز وجل – دون ابتغاء أى شيء فى هذه الحياة .

قد يعرض لك السائل فتعطيه ويمضى ، فيحسب اله لك حساب هذه الصدقة كاملة ، أما حين يأتيك فتقول له : (يا أخى أنت لا تشبع) ضاع جزاؤك ، ما شأنك أنت بشبعه ؟ إن الله هو الذى يطعمك ويسقيك ، وإذا مرضت فهو يشفيك ، وهو الذى خلقك وهو الذى يهديك ، فما شأنك بذلك العبد الذى يعيش فى ملك الله ؟ وأرسل الله له رزقه عن طريقك ؟ لماذا تؤذى عباد الله ؟ لابد أن تكون صدقاتنا ناطقة بالحمد والشكر لله – تبارك وتعالى – تحمد الله أن جعل يدك هى العليا .. تحمد الله أنه لم يحوجك إلى أحد .. تحمد الله أن سترك فى زمن تعرى فيه الكثيرون .. تحمد الله على أنك لم تقف تنتظر فلا تجد ، بل إنك وجدت وسترت وشبعت ... وربما جاع الآخرون .

اننى أسير فى شوارع بلادنا هذه وأتعجب !! سيارات تتقاطر وتتسابق ، وأطفال متناثرون حول السيارات ، فى الإشارات ، وعلى الأرصفة ، مواطنون من صميم ترابنا ، لا يجدون ما ينفقون ، ولا يستطيعون أن يضمنوا غدهم ، بل ولا يضمنون يومهم ..كيف يمكن أن تتوافق هاتان الصورتان ، هل نحن بلهاء إلى حد أن نجهل هذا الموقف المشين الذى معه جوهر العقيدة ؟ بل هل نحن أولاً

مؤمنون .. هل نحن أولاً عباد الله - تبارك وتعالى - ؟ وهل ندرك أن الإنفاق يعنى أن لا يبقى فى هذا المجتمع جائع ولا سائل ولا فقير ولا محروم .

حل لمشكلة التسول :

قد نتصور مثلاً أن هؤلاء يحترفون هذه الحرفة .. نعم .. فأولى بالدولة أن تجمعهم وأن تخفى أشكالهم من الأرض ، ولكن الدولة لا تملك ما تستطيع به أن تحل هذه المشكلة !! الدولة عندها وزارة الشئون الاجتماعية ، والوزارة نسيت فيما نتصور رسالتها ، فأصبحت الشئون الاجتماعية مبعثرة تحت الكبارى ، وفى الشوارع ، والطرقات ، ولا أحد يهتم بهذه الشئون ، ما الذى يمكن أن نفعله ؟ إننا أمة تملك الكثير ، وعليها أن تفعل الكثير ، إن عندنا كثيراً من المؤسسات ، كالأحزاب السياسية ، والأحزاب لها رسالتها التى أقيمت من أجلها من ناحية ، وعليها واجباتها التى ينبغى أن تنهض بها من ناحية أخرى ، عندنا جمعيات كثيرة ينبغى أن تنهض بمثل هذه المشكلة دون أن تشغل عنها بأمور أخرى لا علاقة لها بمستقبل الأمة .. إننا ننادى من هنا : إن بلادنا فى خطر خطير ، وإن الشارع المصرى بفرز كثيراً من الجرائم ، يفرز كثيراً من الأحداث الذين يهدون مستقبل الأمة ، إنهم بؤر تروّج المخدرات ، ويباع من طريقها الكوكايين ، والهيروبين ومشتقات الحشيش والأفيون ، والماكستون ، كل هذا إفراز الشارع .. إفراز الإهمال ، إنه نتيجة أن الأمة انصرفت عن رعاية الفقراء ، وعن رعاية أصحاب المشكلات الاجتماعية ، عن رعاية أبناء المطلقين والمطلقات ، انصرف الناس عن كل هذا بأمور أنانية ، فلم يعودوا يؤدون الزكوات ، ولا يجمعونها ولا ينفقونها فى سبيل الله ومن أراد أن يدفع أرسلها لينشر اسمه فى الصحف ، وليقال : إن فلاناً أرسل مليوناً من الجنيهات لكذا .. وكذا .. وكذا .

الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ينبغي أن ينفقوها حباً في الله ، وطاعة له ، وابتغاء مرضاته ، بلا مَن ، ولا رياء ، ولا أذى ، وإلا فليكفوا وليحجبوا أذاهم عن الناس فـ : ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم** ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ، والله غنى عن عباده ، حليم على أولئك الذين يؤذون عباده وهم في الظاهر يظنون أنهم يتصدقون .

أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم .

* * *

الدرس القرآني في الإنفاق

يقول الحق – تبارك وتعالى – فى كتابه الكريم(*) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم * يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الأخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين * ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير * أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** ﴾ صدق الله العظيم [البقرة : ٢٦٣ – ٢٦٦] .

أيها المسلمون ...

هذا درس فى القرآن الكريم يعتمد فى عناصره الأولى على عناصر الحياة الأساسية وهى الزراعة ، والزراعة منذ كان الإنسان هى قوته إلى يوم القيامة ، فلا يمكن أن يعيش الإنسان إلا بالزراعة ، فهى ألصق الأشياء بحياته ، وأقرب

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ١٠ شوال ١٤١٣ هـ / ٢ إبريل ١٩٩٣ م .

الموجودات إلى عقله فكره وجدانه ومشاعره .. الزراعة هى حياة الإنسان وهى استمراره على هذه الأرض .

وبدأ الدرس القرآنى كما نذكر بقوله تعالى : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء** ... ﴾ [البقرة : ٢٦١] ، فوصل عملية الإنفاق بالزراعة ، وبأن الإنسان إذا زرع حبة فأعطته سبعمائة حبة فكذلك يضرب الله الأمثال للناس ، ويعلمهم أن ما أوتيتم من الخير ليس لكم وحدكم ، وإنما لكم فيه شركاء ، لا تكونوا أنانيين ، ولا تستأثروا بالخير من دون الآخرين ، أعطوا الخير لوجه ربكم الذى رزقكم ، والذى استنبط لكم الخير من الأرض ، والذى منحكم هذا الخير الوفير ، تزرع حبة فترزق سبعمائة حبة ، والله يضاعف السبعمائة ، أى : إن المسألة لا تقتصر على هذا الرقم ، بل إن الرقم يشير إلى فيض عطاء الله الذى لا ينتهى ، لأنك عندما تزرع حبة فيخرج رزقها وعطاؤها لا يكون فضل اله عليك مقتصراً على عطاء الحبة ، وإنما يكون عطاء الحبة مؤشراً إلى بقية الخير ، لو أن الحبة ماتت فى الأرض لتحسرت نفسك ، وربما تصاب بالمرض وبالكآبة وبالحزن ، وتقول : (مالى أزرع ولا أجد) ، فإذا ظهر هذا الخير الوفير سعدت نفسك ، ومشاعر السعادة هذه هى أيضاً من عطاء الله .. هى أيضاً من ثمرة الحبة فإذا شعرت بالسعادة ظهرت عليك أمارات العافية ، وذلك أيضاً من نعم الله .

المضاعفة المشروطة :

هذا هو مضمون قوله تعالى : ﴿ .. **والله يضاعف لمن يشاء** ... ﴾ [البقرة : ٢٦١] فالمضاعفة هنا لا تقتصر على عطاء الحبة سبعمائة حبة ، وإنما عطاء الحبة هنا هو كما قلت مؤشر إلى بقية ألوان الفضل والعطاء من الله

– تبارك وتعالى – لأنه قال : ﴿ .. **والله يضاعف لمن يشاء** ... ﴾ ، لكن المضاعفة مشروطة بأن تجعل علاقتك بمن ضاعف لك ، أن تجعل عطاءك الخير ، صدقتك على الآخرين ، إنفاقك فى سبيل الله لا فى سبيل الشيطان .. الشيطان يحاول أن يقطع عليك سبيل الله فيوحى إليك بكلمات من المَن ومن الأذى ، ليفسد عليك الزرع ، ويحرق أرض الخير الذى أوتيت ، وحينئذ ينقطع عنك فضل الله الذى وعدك به ﴿ .. **والله يضاعف لمن يشاء** ... ﴾ .

لقد وعدك بالمضاعفة إذا ما جعلت إنفاقك فى سبيله لا يعرف منّاً ولا رياء ولا أذى ﴿ **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم** ﴾ ، غنى عن صدقتك ، حليم عليك ، وستأتيه يوماً يذكرك أنك أنفقت ما أنفقت لا فى سبيله ، وإنما اتبعت الشيطان وتعلمت منه ، ولقنك كلمات من المَن ومن الأذى فأفسد عليك الزرع والضرع .

ومن هنا يرزق الله أناساً فى هذه الدنيا مزيداً من الثروة لا يقدرون على حمله ، ومع ذلك فإنهم يبتلَوْنَ بالكآبة .. بالحسرة .. بالأسى .. والحزن .

وتسأل هذا الإنسان فى حالته هذه ، لماذا تبدو حزيناً ؟ يقول لك لا أدرى .. وتقول : لقد وسع الله عليك الرزق ، وأعطاك ما لم تكن تملك ولا تتصور ، فلماذا أنت مغموم مكتئب .. !؟ فيقول لك : لا أدرى !! كلا .. إنه يدرى ولكنه .. عاجز عن مواجهة نفسه ، ستجده من الباخلين بفضل الله ، الممسكين حقوق العباد فى جيوبهم ، وقد كان أولى به أن يكون ممن قال الله فيهم : ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

ستجد أنه أنانى ، ومن هنا سلط الله عليه هذه الحالة النفسية التى تحول ما معه من الثروة إلى عدم ، بل إلى ابتلاء ، بل إنه يشعر بحسد للفقير الذى

يجلس على الرصيف فى هناء ورضا ، لا يفكر فى هم ، ولا يزاحمه غم ، ولا يصيبه نصب ولا كآبة ، فنعمة الله علينا ليست فيما فى جيوبنا من قروش وأموال ، بل هى فيما استأثر الله بعلمه ، مما يفيض علينا من الطيبات والخيرات : ﴿ .. **والله يضاعف لمن يشاء** ... ﴾ ، أى يضاعفُ لمن يشاء أن يضاعَفَ له بقصد الخير ، وبالإنفاق فى سبيل الله ، وبالتنزه عن المَن وعن الأذى وعن الرياء .

ثلاث صور فى الدرس القرآنى :

وانظروا إلى تصور القرآن للدرس فى الآيات الثلاث التى استمعنا إليها ، لقد قدم إلينا صورة لرجل عنده أرض ، ولكنها فى باطنها صخور ملساء ، عليها طبقة سطحية من التراب يزرعه فينبت ، وبعد قليل تأتى ريح فيطير هذا الزرع ، لأنه ليست له جذور ، ثم ينكشف جو العاصفة عن أرض جرداء ملساء فيقف حزيناً لا يدرى ماذا يصنع ؟ إن الأرض فى باطنها صخور ، وهى تصلح للزراعة .. هذا منظر.

والصورة الثانية رجل عنده أرض خصبة فيها من كل الثمرات ، له فيها خير كثير ﴿ .. **جنة بربوة أصابها وابل** (نزل عليها مطر كثير) **فآتت أكلها ضعفين** ... ﴾ لقد آتت الحبة أكلها ضعفين : ألفاً وأربعمائة حبة ، بل إن هذه الحبة ليست فى حاجة إلى مطر وابل ، وإنما يكفيها المطر الخفيف ، يكفيها الطل والندى لكى تثمر ، وتؤتى أكلها ضعفين ، وهذا منظر آخر ، غير الأول .

لو وضعنا الصورتين إحداهما بإزاء الأخرى فسنجد أن أحد المالكين ، وهو الأول ، قد وقف حزيناً تعيساً فى جوار أرضه ، وأما الآخر ، فهو الإنسان الرضى السعيد ، القرير العين ، الفرح بما آتاه الله من فضله : ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ [يونس : ٥٨] .

هاتان صورتان يقرب بهما القرآن الدرس الذى نريد أن نتعلمه ، بالطبع ليس أمراً مألوفاً أن يزرع الإنسان فوق الصخور ، لكن هذا يحدث فى عالم الأخلاق ، عندما يحاول إنسان أن ينفق بعض المال ، أن يزرع بعض الخير ، ولكن قلبه حجر ، كما يصف القرآن بنى إسرائيل : **﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾** [البقرة : ٧٤] ، فقلوب هؤلاء المؤذين المنانين على عباد الله قلوب عجزت عن أن تنبت خيراً ، أو تعطى ماء ، لا تهبط من خشية الله ، هذا هو التمثيل . واسمعوا – إذن – الآية :

المن والأذى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان (حجر) **عليه تراب** (قشرة من التراب) **فأصابه وابل** (نزل المطر غزيراً) **فتركه صلداً** (ناعماً أملس) **لا يقدرون على شىء ... ﴾** لا يجدون شيئاً مما ظنوا وأمّلوا ، فلا أثر للتراب ، وكأنهم لم يفعلوا شيئاً سوى ما يعقب فى قلوبهم الحسرة ، هذه صورة الإنسان الذى يرائى بصدقاته ، والذى يبتغى دائماً أن يراه الناس ، والذى يؤذى الناس ، ويمُن عليهم **﴿ .. لا يقدرون على شىءٍ مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين ﴾** .

لقد وصل بهم إلى درجة الكفر !!! لماذا ..؟ لأن الرياء شرك أصغر ، كما نعلم ، فالذى يرائى بالصدقة هو مشرك ، وبذلك ختم الآية وختم الصورة بما أثمرت من الخسران .. ومن الضياع والعدم : **﴿ .. والله لا يهدى القوم**

الكافرين ﴾ ، حتى يعرف كل من يُؤذِى أو يَمن أو يرائى قدره ومكانته ، وأنه خرج من زمرة المؤمنين إلى حظيرة الكافرين .

تأتى الصورة الثانية ، وهى صورة مسعدة .. مفرحة **﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم ﴾** ، أنه لا يحس بالعالم من حوله ، إنه لا يرى أحداً إلا وجه الله فى كل شىء ، إلا حضور الله فى كل خطوة :

هنالك صفوان عليه تراب ، وهنا **﴿ .. كمثل جنة بربوة ... ﴾** جنة على أرض مرتفعة ، الموقع الذى يتمناه كل إنسان ، سكناً ومقاماً ومسيرة وتنزهاً ، نحن نحب الروابى بعيداً عن اختناق الأنفاس فى الوديان وفى القيعان ، حيث توجد الهوام والحشرات فى الجحور ، وفى أسافل السفوح ، أما هنا فكلمة الجنة تعبير عن أنها ليس فيها شىء مما يؤذى ، ومعنى ذلك أن هذا الإنسان قد ملك مصيره كله فى رضوان الله – تبارك وتعالى – لا ينكد عيشه شىء ، ولا يكدر صفوه شىء ، **﴿ كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ﴾** وهى لا تحتاج إلى الوابل ، يكفيها الطل .. يكفيها رذاذ من الماء لتؤتى هذه الأضعاف المضاعفة **﴿ .. والله بما تعملون بصير ﴾** .

ثم ينقلنا النص الكريم إلى الصورة الثالثة .... ماذا تختارون إذن ؟ الصورة الأولى أو الصورة الثانية : **﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات ... ﴾** فيها تفاح .. فيها برتقال .. فيها نخيل .. فيها زيتون .. فيها رمان .. كل الثمرات التى خلقها الله ... ليس هذا ببعيد ، وهناك أناس يملكون مثل هذه الجنان على الأرض .. ؟ **﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر ... ﴾** بعد أن

ملك هذا أصبح ضعيفاً وله ذرية ضعفاء ، أطفال صغار من حوله ، ثم فجأة يأتى إعصار فيه نار فيحرق الجنة !! هل يحب أحدكم أن يمر بهذه التجربة ؟.. أن يتعرض لهذا الابتلاء ؟ .

خداع النعمة :

وبعض الناس تخدعه النعمة أحياناً ، فيتصور أنه ملك كل شيء ، وهذا دليل عنده على أن الله راضٍ عنه ، لأنه لو لم يكن راضياً عنه ما أعطاه دون الآخرين ؟ وهو لا يدرى أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، على سبيل الاختبار ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** ﴾ [الأنبياء : ٣٥] ، فليس ما بيدك حقاً تملكه ، بل هو أمانة بين يديك ... وأنت لا تملك أن تقول لله هذا حقى !! لقد قال رسول الله ﷺ : « **لن يدخل أحداً الجنة عمله** قالوا : حتى ولا أنت يا رسول الله .. ؟ قال : **حتى ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بفضله وبرحمته** » .

ومعنى ذلك أن الذين تخدعهم أحياناً أحوالهم الظاهرة حين يملكون الضياع .. والعقارات .. ويملكون الأرصدة والملايين والمليارات فى الحسابات الداخلية والحسابات الخارجية ، ويظنون أنهم بذلك موضع رضا الله سبحانه ، هؤلاء مخدوعون مستدرجون ، يصدق فيهم قول الله : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملى لهم إن كيدى متين** ﴾ [القلم : ٤٤ - ٤٥] .

هؤلاء هم الذين يضرب لهم القرآن المثل : ﴿ **أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت** ﴾ ، هذا الإعصار هو إعصار الرياء ، إعصار الذنوب .. إعصار الغرور ..

هو إعصار الغفلة والانصراف عن الله ، هذا هو الإعصار الذى يحرق الجنة ويحرق شقاء العمر .. ويحرق كل شىء ﴿ **فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون** ﴾ ، إننى أرجو أن نقرأ جميعاً هذه الآيات دائماً وأن نتأملها وأن نعتبرها درساً لحياتنا كلها ، لأننا بحاجة إلى هذا الدرس ، ولا سيما فى أيامنا هذه ، وقانا الله شرها وأنعم علينا بالثبات والإيمان .

أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم لى ولكم ،،،

* * *

الإنفاق من الطيبات

يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه الكريم من سورة البقرة(*) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد * الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾ [البقرة : ٢٦٧ – ٢٦٩] .

أيها المسلمون ...

في الدرس الماضى تلقينا توجيهاً إلهياً إلى ما ينبغى أن نلتزم به فيما يتعلق بأداء حق الله إلى أهل الله ، وقد أقام الله – عز وجل – هذه الحياة مائدة هائلة تتسع لكل عبادة .. لكن العباد لا يتساوون فى القوة .. ولا فى القدرة .. ولا فى الطاقة ، فلكل منهم حظ من هذه المائدة ، وعلى كل منهم آداب ينبغى أن يلتزم بها وهو يجلس على مائدة الرحمن .

ومن آداب مائدة الرحمن أن تتعامل مع الآخرين بما أدب الله عباده به ، لا تدفع واحداً عن المائدة ، ولا تخطف ما أمامه من طعام لتأكله وتحشو به أمعاءك ، ولا تحاول أن تكون جشعاً تأخذ أكثر من حاجتك فما تأخذه زائداً عن

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ١٧ شوال ١٤١٣ هـ / ٩ إبريل ١٩٩٣ م .

حاجتك هو حق الآخرين ، ليغطى حاجتهم ، فما جاع فقير إلا بما شبع غنى ، ولكى يجزى الله – سبحانه وتعالى – بعض عباده بالحسنى وبعض عباده بالسوء أى أمرهم ألا يستأثروا بالطيبات دون غيرهم ، فعلى مائدة الرحمن الطيبات ، ومَنْ أعظم من الله فى كرمه ؟ وأين هى المائدة التى تتسع للخلق جميعاً بهذا التنوع والإغداق والكرم الإلهى ؟ من يستطيع أن يقيم مثل هذه المائدة إلا الرحمن ؟ إلا الكريم – جل وعلا ؟!! .

فالجالسون إلى المائدة يجب أن ينظروا إلى غيرهم ، فى حقهم من الطيبات ، لا يستأثر أحد بالطيبات لنفسه ثم يزيح عن طريقه الخبائث ويضعها أمام الآخرين ، يتناول من الخبز أطيبه ويدفع الخبز العفن .. الجاف للآخرين ، يجوز لنفسه المال الجيد ويلقى بالمال الردىء على مائدة الرحمن .

آداب الإنفاق :

هذه الآداب أكد القرآن على التزامها عندما قال سبحانه : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد** ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ، فهو أمر بأننا فى جلوسنا إلى مائدة الرحمن .. فى هذه الأرض ، وسعينا ينبغى أن نؤدى حق الله من الطيبات لا من الخبائث – أى من أجود المال ، ومن الجميل أن يقول الله – عز وجل – ﴿ .. **أنفقوا من طيبات ما كسبتم** ... ﴾ و (من) هنا لها تأثير فى المعنى كبير ، فالله – عز وجل – يقول : كما تستأثر لنفسك بالكثير من الطيبات فأعط الآخرين أيضاً شيئاً منها ﴿ .. **أنفقوا من طبيات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض** ... ﴾ ، لقد أخرج الله لنا الزروع .. الثمار .. وأخرج لنا المعادن .. والبترول ، أخرج لنا الكثير .. ولابد أن نذكر هنا

أن كل شيء على هذه الأرض هو من الأرض (كل ما فوق التراب تراب) .

ولذلك فنحن نخرج زكاة عن المال الذى نستخرجه من الأرض كما نخرج زكاة عن الأنفس والأبناء الذين خرجوا من الأرض ، فأبناؤنا من ظهورنا هم فى الأصل من التراب ، ولابد أن نخرج عنهم زكاة لأن الله أخرجهم من الأرض ، فعليهم زكاة كما أن على المستخرج من الذهب والفضة والمال والزرع والتمر والبترول زكاة ، والمسألة فى التحليل الأخير هى تعاطى التراب للتراب ، وتنقيل التراب بين أبناء التراب ، بذلك قضت إرادة الله الذى خلق الأرض ، وقدر فيها أقواتها ، واستخرج من أحشائها هذا الإنسان ، ثم سخرها له بكل ما فيها وما عليها .

زكاة الركاز :

هكذا ينبغى أن نفهم النص عاماً شاملاً ، بعض الناس قد يتصور أن هنالك أشياء خرجت من الأرض ولا زكاة فيها ، وتجاهلوا مثلاً زكاة البترول .. وزكاة البترول تسمى زكاة الركاز .. والركاز هو ما استخرج من باطن الأرض من معادن ومن سوائل وغازات ، كل هذا ثروة ضخمة لم تستثن من فرضية الزكاة ، وقد قرر فيه الإسلام الخُمس ، يعنى فيه ثمانية أضعاف زكاة المال ، باعتبار أن زكاة المال ربع العشر ، فالخمس ثمانية أضعاف زكاة المال .. الركاز فيه الخُمس يعنى ٢٠ ٪ ، والمال السائل الذى نكسبه من عملنا وندخره ويمر عليه الحول فيه ربع العشر يعنى ٢,٥ ٪ .

إن الله – عز وجل – حكيم فيما يضع من تشريعات ، فهذه الثروة التى تستخرج من باطن الأرض ليست كالثروة التى نستخرجها من عرقنا وجرينا وتجارتنا وسعينا .. إن الإنسان يمشى فى مناكب الأرض ، ومهما تعب وكدَّ ، فإن راتبه أو عائده أو دخله من سعيه يكاد يكفيه أو يزيد قليلاً ، أما الذين يعملون

فى استخراج كنوز الأرض فإن عملاً قليلاً يخرج ثروة هائلة جداً ، ومن هنا كان التكليف متناسباً مع الجهد المبذول تناسباً عكسياً .. إذا قل الجهد زادت الزكاة ، وإذا عظم الجهد قلت الزكاة ، وهو أمر ملحوظ فى زكاة الزروع ، فالذى يسقى بماء المطر غير الزرع الذى يسقى بالآلة ، الذى يسقى بماء المطر فيه العشر ، والذى يسقى بالآلة فيه نصف العشر ، لأن هنالك تكلفة وجهداً يبذل فوق العادة .. لابد أن يكون فى مقابله تكلفة أكثر ، أما ما يسقى بماء المطر فهو يسقى بالراحة ولا يبذل فيه جهد ، ومن هنا تزيد نسبة الزكاة فيه .

هكذا نجد أن زكاة الركاز تناسبت مع الجهد الذى يبذل فى استخراج ما فى باطن الأرض .. يحفر البئر وإذا به يتفجر زيتاً وبترولاً فيفيض على الدنيا خيراً ، إن أحداً لم يبذل جهداً فى دفع هذا الزيت إلى سطح الأرض أكثر من إحداث الثقب أو البئر ، ثم بعد ذلك تعمل التقنية وسنن الله عملها فتخرج من باطن الأرض هذه الثروات الهائلة التى تنفق منها الشعوب مليارات ومليارات ، وما كانت حرب الخليج الأخيرة إلا صراعاً على هذه الثروات الهائلة التى تستكن فى باطن الأرض ، ولا ريب أن التقنيات المعاصرة قد تدخلت لمضاعفة ضخ البترول ، ومضاعفة ثروات البلاد البترولية ، ولذلك كان فى هذا الركاز الخُمس .

وقد قلت ذلك إبان حرب الخليج ، قلت : إن الله – عز وجل – حكيم فيما شرع لعباده ، وإن عباده يستنقذون أنفسهم ، إذا عملوا بشرعه ، ويدمرون أنفسهم إذا أهملوا مشرعه ، وما كانت حرب الخليج وما جرته من دمار على المنطقة إلا لأن أصحاب البترول والذين يعيشون على خير الله فى هذه المنطقة لم يخرجوا زكاته ، فافتقر أكثر المسلمين ، واستغنى بعضهم ، وبدلاً من أن ينفذوا شرع الله أخذوا المال وأودعوه فى البنوك الأجنبية التى يملكها الصهاينة ، أعداء الله ، وأنفقه بعضهم على ملذاته وشهواته – فكانت حرب الخليج تذكيراً

للجميع على حد قوله تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب** ﴾ [الأنفال : ٢٥] ، وهكذا عاقبهم الله بأيديهم ، ﴿ **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون** ﴾ [الروم : ٤١] .

كرم الله والأمر بالإنفاق :

إن الله – عز وجل – حكيم فيما شرع لعباده فهو يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم** ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ، وهو كريم فى هذا الخطاب منتهى الكرم .. لقد أعطاك الله القدرة على الكسب .. لم تخرجها فى نفسك .. ولكن الله آتاك إياها ، ومن الممكن أن تبذل كل جهدك ولا تجد شيئاً ، فقد قنّ الله عليك إذن أن تبذل الجهد .. تبذر الحب ، وتنتظر الثمار من الرب ، فحياتك وطاقتك وعملك وكسبك كل ذلك من فضل الله – تبارك وتعالى – لا فضل لك فيه ، ومع ذلك فإنه يسند إليك أنك كسبت ، يسند إليك الفعل ، وهو الفاعل على وجه الحقيقة ، وهو الرازق ذو القوى المتين .. وهو المتفضل المتكرم عليك ، يعطيك رزقه ويسألك قرضاً منه ، أهنالك كرم أعظم من هذا الكرم ، يفيض عليك من ماله ثم يسألك شيئاً منه لبعض عباده : ﴿ **وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** ﴾ [النور : ٣٣] ، فقد أودع الله عندنا أمانة ثم طلب منا أن نقرضه ، هو صاحب المال .. هو صاحب الأمانة وهو الذى يأمر ، وهو الذى يقترض لبعض خلقه – نيابة عنهم ليرزقهم ، فالمال فى يد الغنى أمانة ، وفى يد الفقير قرض ، وهو أولاً وأخيراً ملك الله .

والناس صنفان : ناس ينفقون كما أمر الله ، وناس يمسكون وينكرون فضل الله عليكم ، يقول الله : اقرض عبادى .. آتى عبادى .. أنفق على

عبـادى .. فيتنكر لهذا كله ، ويضع أصبعه فى أذنيه فلا يسمع ، وهو ما يشير إليه القرآن فى قوله : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن ولإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

الإنفاق الردىء والكسب الحرام :

وصنف ثالث يتعمد الإنفاق من الردىء من المال ، يريد أن يتظاهر بأنه يؤدى حق الإنفاق .. الله كلفه بالإنفاق ، فهو ينفق ، لكنه ينفق الردىء ، إن كان صاحب مال أنفق أسوء ما عنده .. وإن كان صاحب ثمار فرز الردىء وأعطاه للفقراء .. وإن وزع لحماً أعطى الفقراء العظم والجلد (والشغت) ، ليس هذا ما أراده الله – عز وجل – من الإنفاق ، لقد نهى الله عن ذلك ، وجعل هذا التصرف خبيثاً خبيثاً .

فى موضع آخر يقرر القرآن أن الخبيث حرام ، ﴿ **يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، فإذا قال الله – عز وجل – ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ ، فهى إشارة إلى أمرين : أحدهما هو أننا لا ينبغى أن نكسب من مصادر الرزق المحرمة ، والآخر أننا لا ينبغى أن ننفق من حرام ، فالإنفاق من حرام .. حرام مركب ، وفى الحديث أن امرأة زنت لكى تتصدق فقال رسول الله ﷺ « **ليتها لم تزن ولم تتصدق** » .. فالذين يتصورون أن الزنا وحده هو طريق الحرام ... واهمون ، فطرق الحرام كثيرة .. هناك من يعملون فى تجارات محرمة كتجارة الخمور والمخدرات ، وتجد الواحد منهم منتفخاً من كثرة ما جمع من الأموال ، ويسير فى الناس لينفق عليهم بعض المال لكى يذكر بأنه المحسن المتصدق ، وحتى لو لم ينو الرياء أو التظاهر بالصدقة

فإن مطعمه حرام .. ومشربه حرام .. وملبسه حرام .. وكسبه كله حرام .

إن النوايا التى تلحق ذلك عند الإنفاق لا تُطَهِّر المال كما يقول الحديث : « **إن أحدكم يقول : دعوت ولم يستجب لى** » والله - عز وجل - يقول : ﴿ **ادعونى أستجب لكم** ﴾ [غافر : ٦٠] ، كيف نفهم هذه المسألة ؟! .. لقد بينها رسول الله ﷺ فى أن مثل هذا الرجل فى الأصل كسبه حرام .. ومطعمه حرام .. ومشربه حرام .. وملبسه حرام .. ومسكنه حرام وغُذِىَ بالحرام ، فأنى يستجاب له ؟ .. كيف يستجاب له .. !! إن أنفاسه الصادرة عن صدره هى أنفاس تنفخ الحرام فى الهواء .. أنفاس تلوث الجو .. رجل يوزع السموم ويغتنى بها .. رجل يدير الكباريه ويغتنى به ، ثم يقال هذا رجل يتصدق .. امرأة تعمل بالرقص وتنفق على اليتامى كما يقال كثيراً فى بعض راقصات عصرنا : إنها متصدقة .. محسنة .. تنفق .. نعم تنفق من دعارتها .. ومن انحلالها .. هذا هو الخبيث الذى أمر الله - عز وجل - ألا نتيممه لننفق منه فقال : ﴿ **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** ﴾ .

ومعنى آخر للخبيث : أن تتيمم .. أى تقصد الردىء من الثمار ، والردىء من الحبوب - تريد أن تقدم كسوة للفقراء فتنتقى لهم القماش (البواقى) الضعيف القوام الذى يمكن أن يتمزق بسرعة ، وتقول : إنك وزعت على الناس كسوة .. وفرح الأطفال .. وزغردت النساء .. ألخ ..

نعم .. فعلت ، لكن الله - عز وجل - يرصد تصرفك ، ويراك وأنت تفعل ما نهاك عنه .. إنك تيممت الخبيث تنفق منه ، ولو أن أحداً عرض عليك هذا الخبيث لكى تشتريه فربما تشتريه مرغماً .. وربما تساوم فيه لتخفض ثمنه ، ﴿ **ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه** ﴾ .. أى تنزلوا من قيمته أو تتجاوزوا عن عيوبه ، وتقولوا : (يا شارى العبد على عيبه) ﴿ **واعلموا أن الله غنى**

حميد ﴾ .. الله غنى عن صدقاتكم هذه .. والله غنى عن عطائكم هذا ، والفقراء عباده ، ولسوف يرزقهم ، ولكنكم وما كسبتم إلى النار .. حصب جهنم **﴿ واعلموا أن الله غنى حميد ﴾** [البقرة : ٢٦٧] .. يحمد لكم إن أنفقتم من طيبات ما كسبتم من الأرض ويستغنى عن عطائكم إن تيممتم الخبيث منه تنفقون .

طريق الرحمن وطريق الشيطان :

ثم يطرح القرآن صورة بسيطة يجب أن تعلمها جميعاً ، يقول القرآن مخاطباً لنا : أمامكم طريقان : طريق الله أو طريق الشيطان ، فأمر الله – عز وجل – يدلنا على الخير وعلى طريقه ، ونهى الله عز وجل – يدلنا على طريق الشيطان فهما طريقان : الرحمن والشيطان ، فماذا نختار ؟ طريق الغنى أو طريق الفقر .. ؟ طريق العز أو طريق الذل : **﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾** .

إن طريق الشيطان طريق تنتهى بالغنى إلى الفقر ، صحيح أن الشيطان يوسوس لأوليائه يقول لهم : لماذا تنفق ؟.. لينفق غيرك .. مالك ولهؤلاء ؟ هل خلقتهم .. (هو أنت خلقتهم ونسيتهم) ؟! يا أخى (سيبك منهم) فيظن الغنى أن هذا التصور هو الذى يبقى عليه غناه **﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾** تعبير القرآن هنا تعبير يتخطى مراحل كثيرة ، ويختصر الطريق ، لأن الشيطان عندما يوسوس للغنى يقول له : ابق على غناك لتظل غنياً ، إنك لو أنفقت ستكون فقيراً ، فأنا أدلك على الخير ، وعلى الغنى ، وعلى استبقاء الثروة ، ولكن العاقبة فى النهاية أنك سوف تأتى إلى يوم تترك فيه هذا كله لورثتك ، ولمن يتقاسمون هذا كله ، وتمضى إلى ربك فقيراً .. معوزاً .. معدماً .. مفلساً ، فالنهاية هى الفقر .

﴿ **الشيطان يعدكم الفقر** ﴾ أى إن وعد الشيطان هو الفقر بعينه ، ﴿ **ويأمركم بالفحشاء** ﴾ .. أى بتجاوز حدود الله .. والفحشاء هى تجاوز حدود الله ، ﴿ **والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً** ﴾ ، والمقابلة هنا بين وعد الشيطان بالفقر ووعد الرحمن بالمغفرة .. أيهما تختار ؟ .. أتختار الفقر أم المغفرة .. !! .

والمغفرة هنا تعنى الغنى الكامل الذى يناله المنفقون عند ربهم ﴿ **لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ [الأنفال : ٤] ، إذاً فالتقابل هنا تقابل فى العاقبة : عاقبة الشيطان هى الفقر لأنه يأمر بالفحشاء ، وعاقبة الله هى المغفرة وهى فضل الله ، أى : زيادة على ما تنفقون .

إنه : ﴿ **.. واسع عليم * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب** ﴾ ، بمعنى أن بعض الناس يتصور أن الحكمة هى الفلسفة .. والتعليم .. والثقافة .. لا .. الحكمة هنا حكمة عملية ، لأنه يتحدث عن الإنفاق والأخذ والعطاء ، يتحدث عن ضوابط العلاقات بين الأغنياء والفقراء ، وهى أساس الحياة .. وأساس استمرار المجتمع ، ومن الحكمة أن تسير على شرع الله لتستقر العلاقات بين الأغنياء والفقراء ، استقراراً يؤدى إلى ازدهار المجتمع والرقى والإنتاج .

أما إذا فقدنا الحكمة وأعرضنا عن تعليم الله فإن معنى ذلك أن يتحول الخير إلى شر ، وأن يفتقر المجتمع ، وأن يسلط الله عليه التمرد والثورة والغضب ، وإذا بالناس يأكل بعضهم بعضاً ، ولقد ذاقت الإنسانية ويلات هائلة مع تفجر ثورة الفقراء ، التى أشعلها ماركس بتعاليمه ، فإذا بالحال تؤول إلى شر من الفقر .. إلى ظلم هائل .. وإلى ضياع للفقراء والأغنياء على السواء ، وهذا هو السبب فى سقوط النظام الماركسى ، مع أنه كان يزعم أنه ينصر الفقراء على

الأغنياء وأنه يوزع عائد رأس المال بالقسطاس ، إن أحداً لا يمكن أبداً أن يحقق العدالة فى المجتمع إلا من خلال شرع الله ، ومهما اجتهد الناس فلن يجدوا خيراً من شرع الله يوجههم إلى تحقيق خيرهم .. واستقرارهم وأمنهم .

وهذا نداء إلى مجتمعنا .. المجتمع المؤمن الذى يريد أن يحقق تنمية وإنتاجاً ، كما يؤدى ديونه التى أثقلت كاهله ، ويحدث نهضته فى الدنيا عن طريق الوفرة .. وعن طريق اختفاء ظواهر البؤس والتعاسة .. لن يتحقق هذا أبداً من خلال مناهج العلمانيين والمتاجرين بالسياسة .. والمستغلين للسلطة فما كانت العلمانية إلا زيفاً ، وإلحاداً ، وكفراً وتفريقاً بين الناس ، وإنما يتحقق عن طريق شرع الله واتباع أوامره وتنفيذ منهاجه ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين** ﴾ [فصلت : ٣٣] .

* * *

الحل الإسلامى وفشل الشيوعية

يقول الله سبحانه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم(*) ﴿ **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار * إن تبدوا الصدقات فنعماً هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير * ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون * للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم** ﴾ صدق الله العظيم [البقرة : ٢٧٠ - ٢٧٣].

أيها المسلمون ...

الشيوعية التى سقطت وانتهت اتخذت نظاماً هو الاستيلاء على أموال الأغنياء لصالح الفقراء ، وبذلك ادعت أنها تعالج مشكلة الفقر والحاجة ، .. ما الذى جعل هذا النظام يسقط .. ؟ لأنه نظام تجاهل تماماً كرامة الإنسان ، وفرض تشريعاً إجبارياً إكراهياً يستولى بالظلم على أموال الناس ، ويُمكن منها غيرهم دون استحقاق .

يعنى عندما استولت الدولة على أموال الأغنياء استولت أولاً على أموال

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٢٤ شوال ١٤١٣ هـ / ١٦ إبريل ١٩٩٣ م .

هؤلاء الذين كسبوها بعرقهم وبذكائهم .. بطاقاتهم وشغلهم ، ثم ادعت أنها تنفقها فى مصالح الفقراء ، والذى حدث أن الفقراء فى ظل النظام الشيوعى ازدادوا فقراً وانضم إليهم الأغنياء ، أو الذين كانوا أغنياء ، فأصبحوا فقراء ، لأن الدولة استولت على الأموال سواء أكان ذلك لحساب مغامرات النظام أم لجيوب القائمين على النظام من رجال الحزب الشيوعى ، والزبانية الذين يعملون فى خدمته .. كل ذلك تضخمت به ثروات أناس ، وافتقرت الأمة افتقاراً شديداً ، حتى إن « يلتسن » رئيس الدولة الروسية الآن يذهب إلى أمريكا ليتسول .. ويستنجد بالغرب ليمدوه بثلاثة وأربعين مليار دولار لكى يستطيع أن يحافظ على النظام الجديد الذى يريد أن يضع نفسه فى خدمة المحسنين أو المتصدقين عليه ، هذه نتيجة الشيوعية التى قام بها رجال العصابات الماركسية ، وادَّعَوْا أنهم يحققون بها العدالة فى الناس ، ولكنهم لم يكونوا مؤمنين إيماناً حقيقياً بالعدالة ، بل كانوا عبارة عن مجموعات من الانتهازيين الحاقدين .. العلمانيين الكافرين بعدل الله .

إن الإنسان إنما يعدل أو يحقق العدل حتى يرضى الله – عز وجل – ويضمن الآخرة ، لكن هؤلاء لم يكونوا يؤمنون لا بأخرة ولا بإلَه ، فما الذى يخشاه حاكم طاغية استولى على كل الأموال وأصبحت ثروة الأمة كلها فى حوزته ؟ وتحت قبضة يده ؟.. ومن يفتح فمه يلقم حجراً .. ومن يرفع صوته تقطع رقبته ؟ لأنه من أعداء الشعب ، على الطريقة التى اتبعها الشيوعيون عندنا إبان إستيلائهم على السلطة فى عهد « عبد الناصر » .

تحقيق الإسلام للعدالة :

الواقع أن النظام الشيوعى كان يتصور أنه سيحقق العدالة التى عجزت عنها الرأسمالية وعجز عنها الدين ، فإذا هو يصبح أكبر ظالم للإنسان ، ويتحول إلى جلاد حقيقى للعدالة وللحريات ..

هذه مقدمة لابد منها ونحن مقبلون على بيان نهج الإسلام فى تحقيق العدالة الاقتصادية ومعالجة الفقر ..

لماذا لجأ الإسلام إلى هذا النمط من الدعوة إلى الصدقة .. ؟؟

إن الإسلام يحترم الإنسان .. يحترم كفاحه ، ... فإذا عملت فمن حقك أن تحصل على مقابل عملك ، وهذا عدل .. وهناك إنسان عاجز ، أو كسول ، أو مهمل ، أو عدوانى غبى ، لا يفيد الحياة ، بل هو من أعدائها ، فليس له حق فى شىء ، أما أنت فتعلمت واجتهدت وعملت فمن حقك أن تحصل على نتيجة عملك ، وهو قوله تعالى : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ [الزلزلة : ٧ - ٨] .

لكن هنالك فقراء فى المجتمع ؟ فهل يطلب من الأغنياء أن يتنازلوا عن أموالهم للفقراء ؟ .. للكسالى ؟ .. للمضيعين لوقتهم ولحياتهم ؟ .. للمهملين فى عملهم ؟ .. للكاسيدين الذين لا ينتجون ؟ .. ليس هذا عدلاً بأى مقياس ، نعم هنالك مرضى .. هنالك عجزة .. لكن من حيث المبدأ والنظرية : هل يجوز للنظام أن يتقدم خطوة فيستولى على أموال الأغنياء ، ليعطيها للفقراء ؟ الذى يحدث فى هذه الحالة أن يجعل الفقراء أغنياء ، والأغنياء فقراء ، وهو ظلم لن يؤدى إلى تغيير ، ففى المجتمع فقراء وفيه أغنياء ، وهذا هو الذى حدث فى نظام وفلسفة المرحلة الماضية .. تدخلت الدولة واستولت على كل المتاجر وكل الأعمال وكل المشروعات الخاصة وحولتها إلى قطاع عام لحساب الفقراء من حيث المبدأ ، ولحساب الانتهازيين فى الواقع ، وكل ما حدث لم يكن سوى تغيير الأماكن ، جلس الأغنياء فى مقاعد الفقراء ، واحتل هؤلاء مواقع الأغنياء .. ومن ثم اضطرب نظام العمل فى المجتمع ، لأن تدخل الدولة على هذا النحو ترتب عليه تضييع للمسئولية ، وتعويد للفرد على أن يحصل على

ماليس له بحق ، بل أن يستولى ويغتصب ماليس له بحق ، والدولة تمكنه من الأرض ، ومن المصنع ، وفشل نظام القطاع العام الذى استولى على الأراضى ، وفشل الإصلاح الزراعى .. كل نظام قام على تدخل الدولة ، وإجبار الناس ، والاستيلاء على ثرواتهم فشل تماماً ، وأصبحوا الآن يبحثون عن مخرج ، فأخرجوا قانون الإصلاح الزراعى الجديد لتعود الأرض بعد خمس سنوات إلى أصحابها ، ولتعود الحال إلى ما كانت عليه قبل أربعين سنة ، لأن هذه الأرض كانت منتجة فى أيدى أصحابها ، وكان الناس يعيشون فيها منتجين ، أما الآن فقد صارت خراباً بوراً ، عندما عجز الفلاحون عن الإنفاق على إنتاجها ، والوفاء بمتطلبات المؤسسات الثورية ، فكان لابد أن يستردها أصحابها ، بعد أن فقدت كل خصوبتها .. والسؤال الذى يفرض نفسه الآن : ماذا فعلت الشيوعية ببلادنا ، وقد تمكنت من السلطة أربعين سنة ؟ .. لا شىء إلا إفقار البلاد والعباد .. وسؤال آخر : ما الذى نتوقعه بعد هذه الحركة التصحيحية ؟ .. والجواب : إن الإصلاح لا يمكن أن يتم بين عشية وضحاها ، فالأزمة تظل مستحكمة .. ولكنها خطوة تسجل سقوط النظام الذى استولى على الأرض ، بادعاء أنه لصالح المعدمين ، ويحارب الرأسماليين والملاك والمستغلين ، وما كان هذا النظام نفسه إلا مستغلاً ، ورأسمالياً بشعاً ، وكلنا نشهد بهذا منذ أنشأنا ما يسمى بالقطاع العام .

إن القطاع العام يخسر كل سنة مليارات ، مع أن هذه المؤسسات كانت فى أيدى أصحابها منتجة ، كانت مصر تنفق على العالم العربى كله فإذا بها تمد يدها إلى أقل الناس تتسول منهم عطاء .. لماذا .. ؟ لأن المؤسسات المنتجة تحولت إلى مؤسسات عاطلة باطلة ، والذى حدث أنهم الآن يبيعون القطاع العام ، ويرجعون عن الخطوة التى استولت بها الدولة على أموال الناس ، يرجعون عنها

إلى منطق آخر ، أحياناً هو الخصخصة ، وأخرى قطاع الأعمال ، ثم إلى شيء آخر .. وهكذا ..

المهم أن الجديد هو أن فكرة استيلاء الدولة على الثروة العامة فكرة باطلة سقطت وانتهت ، ولم يعد هنالك شيء إطلاقاً إلا أن تشجع العامل على عمله ، وتسوق الكسول إلى أن يعمل .. لا تمكنه من عرق العامل الذى يعمل ليصبح إنساناً منتجاً ونافعاً ، أما الذيينام رمة بجوار الحاذط فقد استحق درة « عمر بن الخطاب » — رضى الله عنه — عندما دخل المسجد فوجد رجلاً ينام فى المسجد يقولون أنه يذكر الله ، فعلاه عمر بالسوط وضربه وقال له : « لا تمِتْ علينا ديننا أماتك الله .. لا تمت علينا ديننا أماتك الله .. لا تمت علينا ديننا أماتك الله .

إن الدين حركة .. والدين طاقة .. والدين إنتاج وتنمية ، وليس نوماً وكسلاً .. ولا تسولاً وقد قال « عمر بن الخطاب » قولته هذه فى رجل يلزم مسجد رسول الله ﷺ وقد سأل النبى ﷺ عن رجل يلزم المسجد : « **من الذى ينفق عليه** .. ؟ فقالوا له : أخ له يعمل فى الحقل ، فقال : **أخوه أعبد منه .. أخوه أفضل منه** » .

ومعنى ذلك أن الإسلام يحترم قيمة العمل ، ويشجع أى إنسان أن يأكل من كسب يده ، يقول رسو الله ﷺ : « **ما أكل أحداً طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** » . ملك ونبى ومع ذلك كان يأكل من عمل يده !! .

الإسلام والأغنياء :

إن نظرية الإسلام تقوم على احترام الإنسان ، فهو لا يستولى على أموال الناس ، وإنما يدفعهم من داخلهم إرادة واختياراً إلى أن يكونوا فى حاجات الفقراء ، لقد جعلت من كل فرد قادر وزارة شئون إجتماعية .. هو يعمل ، وعنده مال ، وحوله ناس من العجزة والمحتاجين ، فهو يضع نفسه وماله فى خدمتهم بالإرادة لا بالإكراه ، وكأنه يقول : (خذ عينى باختيارى) ولا تأخذ منى مليماً عنوة ولا قهراً ولا إكراهاً ، هذه هى مثالية الإسلام ، وحرصه على الكرامة الإنسانية ، للغنى وللفقير معاً .

فالإسلام يربى ضمير الإنسان حتى يلزم نفسه بالعطاء ، ولا يستولى على مال أحد ، ولا يكرهه على الصدقة ، وإنما هو يقيم حفلاً جميلاً .. يقيم ندوة رائعة ترغب هذا الإنسان فى العطاء سراً وإعلاناً ، فهو يعطى هنا ، ويعطى هناك ، وفى كل مكان .

يعطى أحبابه ، ويعطى أعداءه ، يعطى المسلمين ، ويعطى النصارى ويعطى اليهود .. كل ذلك من تعاليم الإسلام .

بعض الجهلة يتصور أن العطاء فى الإسلام لابد أن يكون من المسلم للمسلم !! ... كلا .. العطاء فى الإسلام من المسلم لكل محتاج ، لا يدخل فى حساب العطاء اعتبار العقيدة ، فمتى وجد المحتاج فقد استحق ، بصرف النظر عن دينه أو جنسه ، أو لونه ، أو عقيدته ، فلا يحل أن يجوع لأنه مسيحى أو يهودى ، إنما يجوع لأن رزقه عندك ولا خيار أمامك حين تكون قادراً ، وترى جائعاً إلا أن تطعمه بالأمر الملزم : أن تطعمه .. ومن الذى يلزمك .. ؟ إنه الله – تبارك وتعالى – .. والسؤال : هل الله – عز وجل – أكرهك على أن تعطى .. ؟! إنك تستطيع أن تدير ظهرك ولا تعطيه ، إنما رغبك – عز وجل –

فى أن تعطيه ، ودعاك .. وأغراك .. وحبب إليك أن تعطيه ، ووعدك بالجنة وبالجزاء .

السلوك الإسلامى والعطاء :

وكل آيات القرآن تجمل لك هذا السلوك .. وتزين لك هذا المسلك الرائع .. أن تعطى من جيبك باختيارك ، فإذا أعطيت باختيارك فقد ألزمت نفسك ، هنالك فريضة اسمها الزكاة ، لكن هنالك ما يوصى القرآن به ، وهو الصدقة .. فهو يدعوك إليها ترغيباً وتقريباً ، دون أن يجبرك على شىء .

لقد فرض الله عليك ٢,٥ ٪ فى المتوسط فيما عندك من مال مكتنز ، لكن حاجات المجتمع قد تكون أكبر من الزكاة .. فمهما أنفقت من الزكاة فستجد أن هنالك فائضاً من المحتاجين ، وخصوصاً فى مجتمعنا هذا الذى لا يخرج كثيرون فيه الزكاة !! كثير من الناس يأتينى ويقول : لم أعرف أن علىَّ زكاة .. مسلم فى المجتمع يقول : ما كنت أعلم حساب الزكاة ؟! أنا أعطى بعض الأشياء وعلى سبيل التبرعات فقط !!! ، قلت له : إن الجهل بالإسلام لا عذر فيه مادمت مسلماً فعليك أن تقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وكان ينبغى أن تسأل .. وبدأ الرجل يسدد ما عليه من ديون طول حياته ، يحسب ويحاول أن يتذكر : (علىَّ فى هذا العام عشرة آلاف جنية .. أو خمسة آلاف) وأخذ يرجع إلى دفاتره ليؤدى ما عليه من دين لله ، لأن دين الله أحق بالوفاء .

هكذا الناس .. وهذا جانب الفرض ، لكن الفرض لا يكفى ، والإسلام يقدر أن الفرض لا يكفى لتغطية حاجات المجتمع ، فهو يدعو إلى الصدقة والصدقة هنا ليست إكراهاً ، ولكن المسلم باقتناعه بأمر الله يلزم نفسه ، فيدفع ، وبذلك تعالج الحاجات بالمبادرات الإنسانية الفردية ، فكل قادر له مبادرته .. يبذل منها للآخرين ، ويعتبر هذا إلزاماً لنفسه .. فهو يفرض على نفسه ، ويعطى

ويعطى .. وإذا بالمجتمع كله عطاء .. وسَدٌّ للحاجات .. ومساعدة للعاجزين وذلك هو عطاء الإسلام الذى لا يتوقف .. ؟ .

إن المسلم طالما كان واعياً ومؤمناً وقادراً فإنه يستمر فى العطاء ، وفى التبرع .. وفى التصدق حتى آخر أنفاس حياته ، بل إنه أيضاً قد يحبس بعض الوقوف لتصبح صدقة جارية من بعد وفاته ، وهكذا يتحرك المجتمع بذاته لا تقوده عصا حاكم يستولى على أموال الناس بالباطل ، دون حق .. بل كل فرد يلزم نفسه فى المجتمع الإسلامى بالعطاء .

الإسلام ومعالجة الحاجات :

هذا هو نظر الإسلام إلى معالجة الحاجات ، فليست المسألة إذلالاً للإنسان ، لأن الفقير فى الإسلام عزيز النفس ، وهو ما يشير إليه القرآن فى حديثه عن ﴿ **الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافاً** ﴾ ، فهم لا يسألون الناس ، وإنما يتحرك الناس صوبهم ليعطوهم ، لأن المجتمع متناقد بعضه على بعض .. ويرى بعضه بعضاً ، ومن ثم لا يكون فى المجتمع الإسلامى فقير ، حين تطبق تعاليم القرآن .

هذا هو افتراض الإسلام للمجتمع المسلم ، واستمعوا إذن إلى الآيات التى قرأناها ، يقول القرآن : ﴿ **وما أنفقتم من نفقة** ... ﴾ ، الإنفاق هنا يعنى الإنفاق التطوعى ، الذى يلزم المسلم به نفسه : ﴿ **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه** ﴾ ، استمعوا إلى ما يقول الله – تبارك وتعالى – ﴿ **وما أنفقتم من نفقة** .. ﴾ ، أى شيء حتى لو كان مليماً ، حتى لو كان تمرة ﴿ .. **فإن الله يعلمه** ﴾ [البقرة : ٢٧٠] ، وعلم الله يتعلق بما تنفق مهما كان زهيداً ، فتخيل أنك تمد يدك بالعطاء والله يراها .. الله

أكبر .. أية رقابة .. أية عظمة .. أى تكريم وتشريف للعطاء ، أنت تعطى على الله ﴿ .. **فإن الله يعلمه** ﴾ ، ثم يختم الآية ﴿ .. **وما للظالمين من أنصار** ﴾.

ما مناسبة الظلم هنا ؟ كان يمكن أن يقول مثلاً : وما للبخلاء من أنصار ، إنه يقول للظالمين – لأن المانع ظالم ، فالمشكلة هى مشكلة العدل أو الظلم ، فالصدقة ليست مجرد تكريم ، أو مسألة عطف ، أو معونة اختيارية ، ولكنها فى منطق الإسلام قضية العدل والظلم ، لقد ارتفع القرآن بمفهوم الإنفاق إلى مستوى العدل والظلم ، هل هنالك حكومة أو نظام فى الأرض له رسالة غير إقامة العدل ومحاربة العدل والظلم ؟ بل لو أننا نظرنا إلى الجانب الفردى ، نجد أن الإنسان فى مجاله المحدود ، وعطائه القليل – مقيم للعدل حين يعطى ، وظالم حين يمنع .

العطاء والظلم :

هذه نظرة فى منتهى الوضوح ، وفى منتهى القوة ، حتى لا يفهم الناس أن أمر العطاء سهل ، هين ، يمكنك أن تعطى ، أو لا تعطى – داخل مجال الإلزام الأخلاقى ، لقد صارت المسألة أجّل ألف مرة مما يتصور الناس ، فعندما تحبس قرشاً أو ثمرة ، أو رغيفاً عن جائع فإنك ظالم ، ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾ ، واقرأ إن شئت كل آيات القرآن التى تتحدث عن الظلم : ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعى رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء** ﴾ [إبراهيم : ٤٢ – ٤٣] ، تخيل أنك عُدِدْتَ فى لحظة فى عداد الظالمين ، وسرت فى موكبهم ، وحشرت محشرهم .. ثم سل نفسك : ماذا يعنى عندك ذلك المنع التافه لمعونة قليلة ، فى كمها ، ولكنها ثقيلة فى ميزان العطاء والمنع .

يقول القرآن : ﴿ **وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه** ﴾ ، يريد أن يقول : حذار من أن ينذر أحدكم نذراً لغير الله ، فالنذر لغير الله شرك ، حتى ولو كان للنبى ... فضلاً عن أن يكون لولى ، أو مخلوق ، حاضر أو ذاهب ..

النذر لله وحده ، .. هل هنالك ما هو أعظم من الله ؟؟ تتوجه إليه بنذرك .. بعطائك ؟! كل ما سوى الله عدم .. كل ما فوق التراب تراب .. لا تنذر إلا لوجه الله .. وإلا لرضا الله .. وحذار من أن تقصد بنذرك أى وجه إلا وجه الله – تبارك وتعالى – ﴿ **فإن الله يعلمه** ﴾ .

ثم تعالوا إلى أدب الصدقة ﴿ **إن تبدوا الصدقات فنعماً هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم** ﴾ ، الواقع أن هنا طريقتين فى الصدقة ، إما أن تعلنها ، وإما أن تخفيها ، والقرآن لا يرفض طريقة منهما بل يقول : ﴿ **إن تبدوا الصدقات فنعماً هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم** ﴾ ، هو لا يمنع من أن تتصدق أو تعطى زكاتك كما تحب ، لكن أدب الإسلام الذى عبر عنه الأئمة يقول لك : إن كنت تدفع الزكاة فأعلنها للناس ، ولا بأس .. عندما تدفع الزكاة الفريضة أن تعلنها للناس فتقول : (هذه زكاة مالى) ، دون قصد إلى إذلال الآخرين ، ودون أن تنوى التظاهر ، بل لكى تعطى القدوة من نفسك ، وحثاً لغيرك على المبادرة إلى العطاء ، وكما أننا لا نخفى صلاتنا ، فكذلك لا نخفى زكاتنا .

الإنفاق والسرية :

لكن فيما يتعلق بالإنفاق فى غير الزكاة فالأفضل أن يكون ذلك سراً : ﴿ **وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير** ﴾ .

إن المقصود بالفقراء هنا ليسوا فقراء المسلمين وحدهم ، إنما هم فقراء المشركين أيضاً ، يُعْطَوْن من عطاء المسلمين ، فقد قلنا : إن العطاء فى الإسلام لا يرتبط بعقيدة أو لون أو جنس ، بل هو عطاء للإنسان .

وفى حديث قال رجل : لأتصدقن بصدقة غداً .. فوضعها فى يد زانية فقالوا : تصدق على زانية .. وقال الحمد لله ، ثم قال فى اليوم التالى : لأتصدقن غداً بصدقة ، فخرج فأعطاها فى يد غنى ، فقالوا : تصدق على غنى .. وقال هو : الحمد لله يا رب على غنى ، ثم قال فى اليوم الثالث : لأتصدقن بصدقة غداً .. فخرج فوضعها فى يد سارق فقال : الحمد لله يا رب على سارق ، وقال الناس تصدق على سارق .

فكان ذلك كفارة من ذنوبه كلها ، لأن الله – عز وجل – هدى بسبب هذه الصدقات الثلاث ثلاثة من نماذج المجتمع الشاذة : فالزانية استعانت بالصدقة فامتنعت عن الزنا ، وتاب الله عليها .. والغنى عندما وضعت فى يده الصدقة شعر بأنه كان ينبغى أن يكون هو المتصدق ولا يأخذ الصدقة من الآخرين ، فبدأ ينفق من ماله ، ويكفر عن سيئاته .. والسارق أخذ الصدقة فاستغنى بها عن السرقة ، فكان ذلك دليلاً على أن الصدقات للفقراء مطلقاً لا للمسلمين ولا للمؤمنين وحدهم ، والأمر راجع إلى نية المتصدق ، فحيثما تكون الحاجة وإرادة الإصلاح تكون الصدقة مؤدية لدورها فى المجتمع الإسلامى ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ .

اللهم فقهنا فى دينك .. وعلمنا شرائعك ..
أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ،،،

* * *

الإنفاق وعلم الله

أيها المسلمون (*) ...

يقول الله سبحانه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم** ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، هكذا تأتي الحقيقة في صدر مجموعة من الآيات تعليماً للمسلمين أولاً وللبشرية كلها ثانياً فإن تشريع الله – عز وجل – إنما جاء للعالمين وها هو ذا يخاطبهم فيقول لهم : ﴿ **لن تنالوا البر ...** ﴾ أى لن تبلغوا حدود البر ومستوى البر ﴿ **حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ ، فهذا هو مقياس الحرص على البر .

أما أن ينفق الإنسان مما يزهد فيه فلن يبلغ بهذا الإنفاق مستوى البر أبداً.. والبر فى الواقع هو ما يبلغنا رضوان الله – تبارك وتعالى – أى إننا لن ننال رضوان الله – عز وجل – إلا إذا أنفقنا مما نحب .. من طيبات ما نكسب ، .. مما نرى أننا أحق به ، فإذا بنا نقول : لا ... الله أحق .. وأهل الله أحق .. وعباد الله أحق وليس لك فى مالك إلا ما لبست فأبليت .. أو أكلت فأفنيت .. أو تصدقت فأبقيت هذا هو البر الذى تتحدث عنه هذه الآية .

﴿ **وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم** ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، أى إن الله – عز وجل – لا يخفى عنه خافية فى السموات ولا فى الأرض . وإذا كان القرآن يقول : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى**

(*) هذه كلمة ألقاها فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين فى جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ١٢ جمادى الثانى ١٤١٤ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٩٩٣ م .

ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

إذا كان علم الله – عز وجل – محيطاً مستقصياً إلى هذا الحد من الدقة ، أو كما يقول لقمان لابنه : **﴿ يا بنى إنها تلك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ﴾** [لقمان : ١٦] ، فما بالنا نغفل عن هذه الحقيقة ونتصور أن إنفاقنا لوجه الله شيء لا يعود علينا بمنفعة ، ولا يرتد إلينا شيء منه على وجه اليقين ، هذه لحظات غفلة لا ينبغى أن تصيب الإنسان .

الإنسان يجب أن يعلم أن أى شيء ينفقه فالله عليم به ، أى يتكفل به علماً ، وجزاء ومضاعفة فى العطاء ، فعلم الله شامل للكليات والجزئيات ، ما ظهر وما بطن ، ما استعلن ، وما استَتَرَ .

كل ما يحدث فى هذا الكون هو موضوع علم الله ولا يمكن أبداً وفى أى حال من الأحوال أن يغيب عن علم الله تعالى ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وتعبير القرآن (من شيء) فى قوله : **﴿ وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ﴾** فيه دلالة على هذا الاستقصاء .

* * *

مشكلة التسول
ودور الشئون الاجتماعية

أيها المسلمون (*)...

مضى رمضان وجاء العيد وشاهدنا في رمضان روحاً كريمة ظهرت فيما سمي بموائد الرحمن ، بصرف النظر عن خلفيات هذه المؤائد ، فالله - عز وجل - أعلم بنوايا أصحابها ، المهم أن روحاً من البر شاعت في المجتمع ، وهو تقليد نقل إلى بلدنا من المملكة العربية السعودية التي تشيع فيها هذه الروح الكريمة ، مع اختلاف طبقات الشعب ، ولا أنسى أني كنت في أحد أيام رمضان منذ سنوات قليلة أسير في المدينة المنورة في أحد شوارعها ذهاباً إلى مسجد رسول الله ﷺ وإذا بيد تمتد إليّ بكيس أخذته ومضيت وإذا به طعام وشراب وتمر وماء نقي ، فشكرت الله - تبارك وتعالى - أن جعل في قلوب أمة محمد ﷺ هذه الروح التي تحاول أن تسعد الآخرين ، لم أكن بحاجة إلى هذا الذي أخذته ، بقدر ما كنت بحاجة إلى أن أتعلم منهم معنى البر ، وكيف يمكن للمجتمعات أن تقدم هذا البر بصورة مقنعة .. ومرضية .. بصورة تحفظ لكل الأطراف كرامتها ، فالسائل لم يطلب ، والمعطي لم يحجب .

الواقع أن موائد الرحمن في الحقيقة من الظواهر الكريمة التي شاعت في مجتمعنا ، وربما كان مسجد عمرو بن العاص من أوائل الأماكن التي مارست هذا اللون من البر ، لكن المشكلة ليست في جماعة من الصائمين الذين

(*) هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبدالصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٢ شوال ١٤١٥ هـ / ٣ مارس ١٩٩٥ م .

تدعوهم الظروف إلى أن يمروا على الموائد ليتناولوا طعام الإفطار ، ثم يمضوا فى طريقهم ، لأن هذه الموائد مفتوحة ، يختلف إليها ، أى : يتردد عليها الكبير والصغير .. القادر والعاجز ، الكل مادام فى الشارع يتناول إفطاره ثم يمضى .. فموائد عمرو بن العاص لا يقصدها الفقراء وحدهم ، وإنما يقصدها أحياناً القادرون .. يجلسون فيأكلون .. ثم يمضون فى طريقهم فلا حرج عليهم ولا تثريب .

المشكلة :

لكن المشكلة فى أن شوارع بلادنا تمتلىء بالكثيو من السائلين .. من الشحاذين .. وهم يلبسون دائماً أسمالاً وأردية مختلفة لكن الجميع يمارسون حرفة السؤال ، حتى أصبح السؤال عندنا نوع من الاحتراف ، فبدلاً من أن يشتغل ميكانيكياً مثلاً .. وبدلاً من أن يحترف حرفة .. يشتغل شحاذاً .

الشحاذة أصبحت عندنا حرفة لها نقابتها .. ولها تجمعها .. ولها أساليبها في الممارسة ، بحيث إنك وأنت سائر فى الطريق يمكن أن تجد طفلاً لم يزد عمره على خمس سنوات يمد يده ويتعلم كيف يحرك قسمات وجهه تمثيلاً ، فيبدو بائساً جداً حتى يتعطف قلبك عليه وتعطيه شيئاً .

أصبح عندنا الأطفال الممثلون .. أطفال يسرحون ببعض معروضات الورق يعرضون بضاعتهم على الناس ، فإذا لم يشتر أحد منهم طلبوا ما يأكلون (طيب اعطنى صدقة .. اعطنى عشان أكل .. أنا ماكلتش من انبارح .. أنا مكالتش بقالى يومين .. أنا غلبان وبيكى ..) .

ثم إذا قلت له : (أحسن لك اذهب وابحث عن عمل مشرف) قطب وجهه وسب وبصق ، وربما ضرب السيارة بيده أو رجله !! .

وكذلك نجد كثيراً من البنات اللاتى ينتقلن ويتحركن بين السيارات ، يمارسن إلى جانب الشحاذة أو مسح السيارات .. ألواناً من الرذيلة يبحثن عن اتفاق من أجل (بياتة) ، وتبيت ، ويصبح الصباح فتأخذ ما تيسر ، ثم تمضى لتمارس حياتها ، وتستأنف عملياتها المرذولة ، وكأنها لا تملك إلا أن تحترف هذه الحرفة .. وفى شوارعنا إلى جانب هؤلاء بعض العناصر يعرضون عاهاتهم .. رجل مقطوع الذراع يشير إليك ببقايا ذراعه ، ويشعرك بالاشمئزاز وبالقسوة وبالبشاعة .. فإذا بك مندفع إلى أن تعطيه .

ورجل يجرى على قدم واحدة ويظل (يتنطط .. ويتنطط) ويتقفز بين السيارات بطريقة غريبة جداً .. وآخرون يجلسون ويمدون أيديهم .. فى منظر ثابت أخرس ، وقد تجد الرجل فى هيئة كريمة محترمة ثم يطلب منك صدقة ، وتتعجب !! الرجل يلبس ملابس سليمة ، فى هيئة محترمة فما الذى يدعوه إلى التسول ؟! إنه يطلب منك : أريد جنيهاً !! لا يكتفى بما تيسر .. خمسة قروش .. عشرة قروش .. ربع جنيه بل إنه يحدد لك ما يريد .. كما يقولون : « اتسع الخرق على الراقع » .

حتى إنك تذهب مثلاً إلى إدارة حكومية فإذا بك تلتقى الكثير يطلبون منك المعونة .. تسير فى الشارع فإذا بالكناسين .. كل واحد يقول لك : كل سنة وأنت طيب يا بيه .. كل عام وأنتم بخير يا بيه .. وبلا مناسبة .. المهم أنه يتسول .. أصبحت عندنا طبقات غريبة .

تحت خط الفقر :

إن هذا هو ما أشار إليه تقرير البنك الدولى حين قال : إن ثلاثين مليوناً فى مصر من المواطنين يعيشون تحت خط الفقر ، أى لا يتوافر لديهم المعدل الضرورى للدخل الإنسانى الذى ينهض بحياتهم وشئونهم ويقضى حاجاتهم (٣٠ مليون) .

ولذلك لا ينبغى أن نتعجب أن تمتلىء الشوارع بهؤلاء السائلين .. فليس عندنا وزارة تهتم بهذا النوع من الهموم ، ليس عندنا وزارة للشئون الاجتماعية .. وإن كان عندنا وزيرة للشئون الاجتماعية .. نعم .. وهى بما أثبتت من كفاءة ومن روعة فى الأداء بقيت فى منصبها أكثر من عشرين سنة منذ أيام « السادات » ، ومع ذلك فإن المصيبة تتفاقم ، والمشكلات تتزايد ، والمرأة باقية فى موقعها لأنها أثبتت أنها فى منتهى الكفاءة .. وأنها فى الذروة من الأداء المحترم ، بدليل أنها ملأت شوارع القاهرة متشردين وشحاذين .

هذا هو مقياس الكفاءة .. وهذه هى المهمة التى تساعد بها وزيرة التأمينات والشئون الاجتماعية البنك الدولى وصندوق النقد الدولى حتى يكتب تقريره بأن مصر نجحت فى أن تضع نصف شعبها أو أكثر تحت خط الفقر ، وبين هؤلاء أكثر موظفى الدولة .. بل جميع موظفى الدولة وهذا هو الذى يشجع على السرقة .. والرشوة .. والاحتيال .. والاختلاس .. هذا وجه أول من الصورة ، والوجه الآخر يصادفه الإنسان .. إذا سار فى الطريق ، واستفزه إلحاح المتشردين ، حتى إن الإنسان يكره أن يسير فى الطريق ، بل يكره أن ينظر إلى أحد من كثرة هذه المستفزات .. هذه المثيرات المزعجات .

التناقض :

والعجيب أن تقام فى بلادنا الآن عمارة على مساحة ٣٠٠٠ متر (فى شارع مراد أمام حديقة الحيوان) ، تكلمت عنها وكالات الأنباء ، وتحدثت عنها المجالس والصحف ، عمارة تباع فيها الشقة بخمسين مليوناً .. خمسون مليوناً يا ظلمة فى شقة واحدة .. لكنها طبعاً شقة الأحلام ، بها مصعد تدخل فيه السيارة بحيث ينزل راكب السيارة إلى داخل الشقة .. يفتح باب السيارة فيكون داخل

الشقة ، ربما حتى لا يراه أحد ، ومن الذى اشترى ؟! لقد قالوا أن جميع وحدات هذه العمارة بيعت وانتهت ..

عندنا أناس يدفعون الملايين فى شقة ، وليس عندنا أناس يدفعون ملاليم للشحاذين ، لمعالجة التشرد ، أى استفزاز هذا .. ؟! أية بشاعة هذه .. ؟ بل أقول أية إساءة لوجه مصر .. شعب نصفه دون خط الفقر ، أخذ الراقصون فيه والراقصات والممثلون والممثلات ، يجمعون الملايين من الاستثمار الهزلى العبثى ، ثم هم يشترون شققاً بهذا المستوى الرهيب !! .

هذا الذى يشترى شقة بهذا الحجم وبهذه الفخفخة هل يعيش الآن فى الشارع ؟ إنه ساكن فى الزمالك أو جاردن سيتى أو المهندسين ، وعنده قطعاً المستوى اللائق به ، ولكن المشكلة أن فى يده أموالاً هائلة .. فى يده ، وفى يد غيره من المتاجرين فى الممنوعات والمخدرات ، وهى أموال سرية دنسة ، يبحثون لها عن تطهير أو غسيل ، ولا حل إلا أن يشترى شقة بخمسين مليوناً .. وأين ؟! فى مصر .. فى البلد الذى يعيش أكثر من نصف سكانه تحت خط الفقر .

هل هذا معقول .. ؟ الاستفزاز فى مصر يسىء إلى سمعة الحكم .. والشيوعية إنما تقوم على هذا التناقض ... الشيوعيون يروجون دائماً أفكارهم وبضاعتهم المبدئية على أساس انتشار المظالم والمآسى ، وهم يستغلون انتشار هذه التناقضات الغريبة فى المجتمع ، هذا هو الظلم .. هذا هو الإجرام .. هذا هو الاستفزاز فكيف توافق الدولة على بروز هذا التناقض فى المجتمع بصورته هذه .. الصارخة ؟ .

إن مساحة كهذه كان يمكن بما تتكلف أن تنفق على كل المشردين فى مصر .. وتحسن وجه مصر ..

دعوة لإنشاء وزارة للشئون الاجتماعية :

إنما يشرف مصر أن تنشأ وزارة للشئون الاجتماعية بهذه الأموال التى فاضت ، لأن الذى يشترى شقة بخمسين مليون لابد أن يكون عنده على الأقل خمسمائة مليون حتى ينفق على الشقة ؟! إنه يريد لها أثاثاً على الأقل بعشرين مليون .. ومعنى هذا أن فرداً واحداً يستطيع أن يعالج التشرد فى القاهرة بأكملها وأن يضيف جمالاً وبهاءاً وحسناً إلى هذه المدينة المعذبة ، وليست القاهرة وحدها فى هذا الهم كل المدن عندنا فيها هذه المصائب .

فنحن بحاجة إلى أن ننظر أولاً فى مشكلة التشرد ، وأدعو الدولة إلى أن تنشىء وزارة للشئون الاجتماعية تكون مهمتها علاج آلام القاهرة ، والمدن الكبرى ، وتضع يدها على الدماميل فى وجه مصر ، رعاية وعلاجاً ، حتى يختفى من حياتنا تماماً الشحاذون .. والمتشردون والمتسولون ..

هذه هى قضيتنا بعد رمضان ، سنعود إلى نفس المأساة .. وإلى نفس المعاناة والآلام ، وسيرى شعبنا الكثير فى المستقبل ، نتيجة الغلاء والتضخم والانهيارات والافتقار ، وكيف يمكن أن تواجه حياتنا بهذه الصورة المعقدة ؟ إن الأمور عندنا هنا فى المسجد [1] تتضاعف ، لا تتصوروا ما يحدث ، كنا قبل ذلك نواجه عشرين أو ثلاثين أو مائة حالة إذا زادوا ، وكنا نقول عندنا مائة محتاج نعينهم ، الآن عندنا أكثر من ألف أسرة تنتظر هذا العطاء القليل – عشرين جنيهاً فى الشهر – تنتظر هذا العطاء القليل يعنى عشرين ألف جنية فى الشهر على الأقل يجب أن تنفق فى الأساسيات ، فما بالك بالطوارىء .. فما بالك بالأمراض .. ما بالك بالعمليات .. ما بالك بالعاهات .. ما بالك بالمعوقين .. ما بالك بحالات

---

(١) مسجد عمرو بن العاص .

الإيواء التى نحتاج إليها لمن دخلوا فى الإسلام ؟ كل هذا يعقد المشكلة أمامنا – ولن يحلها إلا مزيد من العطاء .

ونسأل الله أن تسرى عدوى رمضان .. عدوى الإحسان والعطاء إلى بقية الشهور .

اللهم ارحم أمتنا من الاستفزاز والمستفزين

اللهم ارحم أمتنا من الاستفزاز والمستفزين

اللهم اعن أمتنا على مواجهة آلامها وحاجاتها

اللهم قوّ سواعدنا لنواجه الأخطار التى تحيط بنا ، ووفق قادتنا لما تحب وترضى يا رب العالمين .

* * *

فهرس الكتاب

* * *

رقم الإيدع بدار الكتب المصرية ١٧٧٠ / ١٩٩٦م

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١

دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع

٨ شارع حسين حجازى ـ القاهرة

هاتف : ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨ ـ فاكس . ٣٥٤٦٠٣١

ص.ب : ٤٧٠ القاهرة ـ الرمز البريدى ١١٥١١